على عتبة السلم مرة اخرى !

*



انتهت هذه الحرب المروعة بعد ان ألهبت الارض والسماء والعقول طوال ستة اعوام، كانت فيها ميداناً لمباراة، عنوانها: «همجية الانسان» تبارت فيها الدول ان عمداً او كرهاً. وها هي الدول تبدأ الآن سلسلة من المؤتمرات، تحاول فيها وضع اسس جديدة، لعالم جديد، فترى هذه الاسس، التي قامت الحرب على اسباب اوهى منها، تكون اليوم الدعامة لسلم الغد.

فالعالم الجديد الذي يحاولون انشاءه مبني في الواقع على خوف الانسان من الانسان، لا على محبة الانسان لأخيه الانسان، انهم يحاولون الحد من مطامع بعضهم بعضاً، ولكن حين تقع القسمة الضيزى يتفرق امناء السلم بعضهم عن بعض وتتجسم مصالح كل امة متنافرة ومصالح سائر الامم، فتأخذ عملية المد والجزر تعمل عملها في حرب الاعصاب كما شهدنا ذلك من سنة ١٩٢٠ الى سنة ١٩٣٩، الى ان تقع كارثة جديدة تودي حتماً، في هذه المرة، بكل حضارة انسانية قائمة، وتعود الدنيا سيرتها الاولى البدائية، في كل شيء، حتى تنبعث من جديد مدنية جديدة. وهذه سنة الامم وتاريخ الحضارات البائدة تشهد على ما نقول.

الانسانية الآن ظمأى الى قطرات تبرد هذا الدم الفائر في العروق وتعطي الضمير الوجداني الحرمة والمقام الاول. فما زال منطق الاقوياء سائداً، وما زال منطق الضعفاء مسوداً، وكلما زادت قوة القوي زاد ظلمه، وكلما زاد ضعف الضعيف سلب حقه واضطهد، ولن يعدل بين الناس غير الضمير، ولكن الضمير الوجداني اصبح، مع تطور العالم، اشبه ما يكون بعضو قليل الاستعمال، قليل الاداء، كلما مر عليه الزمن ضعف وتضاءل، وذهبت امكانيته الايجابية. لذلك، نرى الضمير الوجداني المتقلص يضمحل، ليحل محله الضمير العلمي، ضمير هذا العصر، الذي يعبر عنه بعصر الطاقة الذرية. وما اشبه الضمير العلمي بالضمير الوجداني، ان عدل احسن، وان ظلم اساء.

ترى أيحسن الانسان استعماله فيسود العالم الرخاء، ام يسيء استعماله كما اساء استعمال ضميره الوجداني فيمحقه ويمحق معه حضارته، فتعود الانسانية الى الدرجة الاولى في سلم المدنية.

قد يقال ان الضمير الوجداني ما زال الموجه الوحيد لتصرفات الانسان وكذلك لتحكمه بالقوى العلمية، وان عليه واليه مآل النتائج، ومعنى ذلك بقاء القيم الروحية مسيطرة، غير اننا نرى، نحن، اضمحلال القيم الروحية وسيطرة القيم العلمية التي هي في ذاتها ميزان للخير والشر، يقوم مقام الضمير الوجداني في زمن تحكم المادة وسلطانها والضمير العلمي يخشى ان ترجح كفة غير كفة الخير لان في ذلك القضاء على مصدر العطاء، اي مصدر القيم العلمية، وبقاؤه متوقف على عدم اختلال التوازن.

ان العلم كسبب سبيل الى الخير لا الى الشر.

ترى ايخفق الضمير العلمي غداً كما اخفق الضمير الوجداني بالامس ؟!

البير اديب

الثقافة اللبنانية

اتجاه سياسي وطني — بقاء الانسب — كل لسانه بانسانه

★

بقلم الدكتور
رئيف ابي اللمع

« المدرسة اللبنانية » موضوع وضع على بساط البحث منذ سنوات عدة ، ومـا زال تحت الدرس .

فاختارت حكومة سابقة جمهرة من رؤساء المدارس واساتذتها وعهدت اليهم بدرس هذا الامر واختيار منهاج عام تتمشى عليه وزارة المعارف — قديماً — والتربية الوطنية — حديثاً — وراعت الحكومة في اختيار اعضاء هذه اللجنة — حسب العـادة والعرف — الطوائف الدينية والمذاهب الاجتماعية والاحزاب السياسية والمناطق الاقليمية حتى اصبحت هذه اللجنة مجلساً علمياً نيابياً نسج على منوال المجلس النيـابي السياسي . ولا عبرة ان الاول عين تعييناً والثاني انتخب انتخاباً ، فالتعيين والانتخاب سواء في لبنان !

وطبقاً لقواعد العلم والمنطق — ان المقدمات الواحدة تأتي بنتائج واحدة — اتت نتائج المجلس العلمي شبيهة بنتائج المجلس السياسي ، فابتدأت اعماله بالفوضى وانتهت بالخلاف .

ثم اتت حكومة ثانية واختارت لجنة ثانية هي صورة مصغرة عن اللجنة الاولى . فلا بدع اذا كانت نهاية هذه كنهاية تلك . اي تشعب في الرأي واختلاف في الهدف وتباين في المذهب وافتراق على غير لقـاء .

ان العلة ليست في الاشخاص فكلهم من اصحاب الوطنية الصادقة والاخلاص الاكيد واكثرهم من الذين مارسوا فن التعليم وخبروه ، بل العلة هي انهم لا يطلبون من هذه اللجنة وضع منهـاج علمي مدرسي تسير عليه المدارس في لبنان ، بل يطلبون منهـا تعيين اتجـاه وطني سياسي تسير عليه الحكومة والامة .

اي ان الحكومة — بوزرائها ونوابها وقادة الرأي فيهـا من رؤساء طوائف وزعماء عشائر واصحاب مقامات وزعامات وامتيازات . وقد عجزت هي نفسها عن الاتفاق على ذلك الاتجاه السياسي الوطني ، اتت تحيله اليوم الى لجنة من اساتذة المدارس .

فالمسألة ليست مسألة دراسية بحتة . والبحث فيها ليس في عدد سنوات الدرس التي يصرفها الطالب في القسم الاعدادي والقسم الثانوي . ولا في اي سنة من سنوات الدراسة ينتهي علم الحساب ويبتدىء علم الجبر . فهي مسائل تستطيع اللجنة ان تدرسها بكل حكمة واقتدار ، كما تستطيع ان تتفق عليهـا مهما تشعبت الآراء .

ولكن القضية الكبرى التي تعجز اللجنة عن حلهـا قبل ان ترسم — الحكومة نفسها — خطوطهـا الكبرى هي :

هل تكون الثقافة في لبنان ثقافة عربية صرفة ام ثقافة اجنبية غربية . ام ثقافة لبنانية مستقلة عن الثقافتين — او مزيج منهما ؟

ان الموضوع الذي اطرقه اليوم هو موضوع دقيق حساس ، شديد المزالق كثير العثرات . ولكنه موضوع يجب ان ندرسه درساً عميقاً وان نحلله بكل روية وامعان تحليلاً ينطبق على العلم والمنطق . والصراحة لا بد منها اذا اردنا الوصول الى حل نهائي ، وان كان في الصراحة باب مشرع للغضب والعتب وفرصة سانحة للوم والانتقاد .

ان هناك حقائق اولية لا بد من وضعها وتقريرها بصورة واضحة جلية قبل الشروع في البحث لانها الاسس التي تقوم عليها ثقافتنا اللبنانية . فاذا ما اختلفنا على هذه الاسس تكون العقدة غير قابلة الحل الان ، ويكون علينا ان ننتظر مدة اخرى من الزمن تتلاقى فيها النظريات وتتمحص الاراء وتتقارب الاهداف وتتبلور في خط قومي واحد يسير عليه منهاج التعليم في لبنان .

فكل لجنة تقيم بحثها على غير هذه الحقائق تتقدم على بعضها وتخفق في عملها . وكل منهاج يبنى على غير هذه الاسس يكون منهاجاً وقتياً مصطنعاً لا يعيش ولا يثمر . كل الخلافات مهما استعصت تحلها الايام . وكل العقبات مهما علت يزيلها الزمن فتنازع البقاء لا يبقي الا على . . . — لا الاكبر ولا الاقوى — بل الانسب .

ان الحقائق التي يجب ان نضعها امام انظارنا في هذا البحث هي :

اولاً : ان لبنان قطر نشأ ابناؤه على الحرية المطلقة . الحرية السياسية . اي استقلالهم في ادارة امورهم وعدم رضوخهم لاي تحكم اجنبي . والحرية الادبية . اي انطلاقهم في مجاهل العلم والفن والادب واللغة والفلسفة والشعر ونفورهم من اي قيد داخلي او خارجي . كأن طبيعة بلادهم وما فيها من جبال شامخة واشجار باسقة ومياه صافية ورياح جارية كونتهم منها فأتوا صورة صادقة عنها . والانسان ابن الطبيعة اكثر مما هو ابن امه وابيه .

فكل نير سياسي، سواء كان ناعماً ام خشناً، وكل قيد ادبي، حديداً كان ام ذهبا، يتنافر مع طبيعتهم ولا يأتلف مع عقليتهم.

ثانياً: لقد خطا لبنان خطوته الاخيرة الحاسمة في توجيه كيانه السياسي. وهي خطوة حكيمة جريئة تردد كثيراً قبل الاقدام عليها، ولكنه اقدم عليها اخيراً بصدق وعزيمة واخلاص. وهي تنحصر بأمرين اولهما الاستقلال التام، وثانيهما التضامن مع الاقطار العربية الشقيقة.

فبعد هذا التوجيه القومي الجديد لا يمكن ان تكون الثقافة في لبنان ثقافة اجنبية او ثقافة غريبة عن المجتمع العربي.

يقولون «من شروط المرافقة الموافقة». ففي انضمام لبنان الى الجامعة العربية قبول ضمني منه بانتهاج نهج ثقافي، اذا لم يكن موحداً، نظراً لاختلاف درجات الثقافة في مختلف الاقطار العربية، يكون على الاقل، مؤتلفاً مع ثقافتها، مطابقاً لها وممتزجاً معها كل الامتزاج، للوصول الى تعارف اعم وتعاون اعمق وتفاهم اقوى واشد. فالثقافة، مثل الدين والتاريخ واللغة والمصلحة المشتركة، عامل هام في توحيد الشعوب وتكوين الامم.

ثالثاً: ان الثقافة العربية عامة والناحية العلمية منها بوجه خاص هي ثقافة قديمة لا تماشي النهضة العلمية الكبرى التي بدأت في القرن السابع عشر، ولا تفي بمطالب العصر الحاضر. ان الثقافة العربية التي لمعت في دمشق وبغداد والاندلس واضاءت العالم بنورها الوهاج ثلاثة قرون كاملة انطفأت تماماً لما غلب العرب على امرهم واضاعوا ملكهم وفقدوا عزهم وعزمهم. فاذا ما نهضت اليوم من عثرتها واستفاقت من سباتها رأت الفسنة تفصلها عن المدنية التي زرعتها. لقد مشى العالم خلال هذه القرون دون تمهل او تردد. وقطع في الخمسمائة سنة الاخيرة مراحل شاقة تقدمت فيها المعارف والعلوم والفنون اكثر مما تقدمت خلال الاربعة الاف وخمس مائة سنة السابقة، يوم بزغ وجه التاريخ.

فاذا انكرنا الواقع وتعامينا عن الحقيقة غششنا انفسنا واخرنا نهضتنا واسأنا نحو البلاد والاحفاد وعشنا في القرن العاشر ونحن ابناء القرن العشرين.

رابعاً: ان النهضة الثقافية التي نعمل بكل قلوبنا لها والتي نحلم بكل جوارحنا بها لا تكون نهضة حقيقية ثابتة الا اذا استدركنا ما فات ووصلنا ما انقطع واخذنا عن الثقافة الغربية علومها وادابها وفنونها حتى وطرق تحليلها وتفكيرها.

لقد نقل اجدادنا واسلافنا علوم الفرس واليونان الى العربية وتوغلوا فيها وتفننوا بها واكتشفوا واستخرجوا واستنبطوا وزادوا، ثم نقلوها الى اوروبا فكتب لهم تاريخ المدنية صفحة من اجمل صفحاته ستبقى خالدة ابد الدهر.

فأي حرج علينا اذا اقتفينا اثرهم، واخذنا عن اوروبا اليوم هذه العلوم — حيثما وصلوا بها — وتابعنا السير معهم الى الامام.

وكيف نتمكن من درس هذه العلوم ومن التضلع بها ونقلها وتطبيقها والاستفادة منها اذا جهلنا اللغات الغربية الحية ولم نتمكن منها تمكناً ضليعاً يؤهلنا لكشف اسرارها وفهم مصطلحاتها، وقد امتزج العالم بعضه ببعض وقصرت المسافات وقربت الابعاد واختلطت القارات وصدق في هذا العصر — اكثر من اي عصر سواه — قول العرب القديم . . . كل لسان بانسان.

خامساً: ان الثقافة العربية «الادبية» ثقافة رفيعة سامية فهي بليغة التعبير رائعة التصوير عميقة التفكير واسعة المدى عميقة الغور ساحرة الاسلوب يحق لنا ان نباهي بها ونعتز، وان نتخذها نوراً ونبراساً لنا في نهجنا الثقافي الحديث.

ولغتنا العربية هي لغة غنية سخية تتسع حتى لاقصى مجالي الفكر، وتصل الى تصوير ادق حالات النفس، وتتمكن من التسلق الى اعلى قمم العلم والفن.

ولا بد ان تنهض بنهضة العرب. ولا بد ان تخلع عنها ثوبها البالي القديم بما فيه من روابط نافرة وقواعد شاردة واحاجي ومجازات ومعميات عبثت بجمالها واضاعت عليها بهاءها ورواءها لتكتسي ثوباً لغوياً جديداً يجعلها متينة الروابط صريحة القواعد قريبة المأخذ سهلة الكتابة والتناول والتداول.

اما الثقافة العربية «العلمية» فان الجانب الكبير منها وثبات جريئة بارعة ولكنها تعاليم بالية ونظريات خيالية خالية واستنتاجات مغلوطة او حائرة. فلا بد لنا والحالة هذه من العمل والكد لخلق ثقافة عربية علمية جديدة. وهو امر لا يقدر عليه فرد بل هو عمل المجموع، ولا تكفي لاخراجه سنة بل عشرات، ولا غنى لنا فيه عن درس ونقل علوم وفنون الغرب.

سادساً: ان مركز لبنان الجغرافي، وعقلية اهله، وحبهم للسفر والاغتراب، وشغفهم بالعلوم والفنون، وصبرهم على الدرس والتنقيب، وقدرتهم على اتقان اللغات — كل هذا يجعلهم في مقدمة الشعوب العربية المنوط بهـا نقل ثقافة الغرب الى الشرق وتعريف الغرب بمدنية الشرق.

— البقية في الصفحة ٦١ —

قصـــــة القنبلة الذريـــة

اختراع فرعوني

استقبل الانسان يوم الاحد في الخامس من آب الفائت عصراً جديداً ، يختلف كل الاختلاف عن العصور السابقة التي عاشها، هذا العصر هو عصر « الذرة » ، وكان استهلال هذا العصر عندما القى سلاح الطيران الاميركي قنبلةذرية على مدينة يابانية كانت آثارها اشد من آثار عشرين الف طن من مادة ت . ن . ت . المتفجرة .

ان هذا الخبر الفذ في تاريخ هذه الحرب ، لا تبدأ قصته في هذه الحرب بل ترجع الى ابعد من ذلك بكثير ، حتى ان العـالم الايطالي، الدكتور لويس بولباريني، المقيم اليوم في الارجنتين والذي انفق عشرين سنة في دراسة تقسيم الذرة ، يذهب الى ان رجـال الدين من قدماء المصريين قد نصبوا « فخاخاً ذرية » في كثير من مقابر الفراعنة ادت الى قتل كارنارفون وغيره من علماء الآثار الذين فتحوا مقبرة توت عنخ آمون . ويعتقد هذا العالم الايطالي ان رجال الدين كانوا يضعون في مقابر الفراعنة قبل اغلاقها مقادير صغيرة من الاورانيوم وعنصر من العناصر ذات القوة الاشعـاعية ، وكان هذا المزيج يقتل كل من يحاول دخول المقبرة ، ويظل محتفظاً بقوته مدة الف سنة ثم يفقد قوته على مر الاجيال .

الذرة عند اليونان

وفي تاريخ الفلسفة اليونانية فصول طويلة عن وقفة المفكرين امام المادة وتحارتهم تفسيرها ومعرفة اصلها ، فظنوا انهم توصلوا الى اصل واحد للاشياء. فقال طاليس انه الماء. وقال انكسمينيس انه الهواء، وقال هرقليط انه النار وقال رابع انه التراب . . . ثم جاء امبدقلس فقال ان الوجود يتألف من اربعة عناصر هي المـاء والهواء والنار والتراب مجتمعة ، وكل ما نرى من مواد لا يحصرها عد انما هي مزيج من تلك العناصر الاربعة الاولى ، وتختلف الاشياء باختلاف نسبة المزج بين تلك الاصول الاربعة . ومضت العصور القديمة ، وجاءت العصور الوسطى فحاولت ان تفسر اصل الوجود تفسيراً عقلياً اكثر منه حسياً ، لذلك لم تأخذ بنظرية العنـاصر الاربعة ، وكذلك حاول الفلاسفة والعلماء في العصر الحديث .

في القرن العشرين

ولم يكد القرن العشرون يطل على العلم ، حتى كان علمـاء الكيمياء — الذين استقلوا عن الفلاسفة في دراسة عناصر الكون الاولى — قد توصلوا الى ان الوجود يتكون من وحدات وعناصر يبلغ عددها نحواً من تسعين منها الذهب والفضة والنحاس والايدروجين والاوكسجين ، فكل مادة في هذا الكون تتركب من بعض هذه العناصر ، فالماء ، مثلاً ، يتألف من ايدروجين واوكسجين ، ويتركب السكر من كربون وايدروجين واوكسجين . ولم يكتف الكيميائيون بدرس مركبـات الطبيعة ، بل اخذوا هم يؤلفون مركبات جديدة يخلقونها خلقاً جديداً .

وكان اول من انبأ بمقدار الطاقة المختزنة في الذرة هو العلامة البرت اينشتين — عام ١٩٠٥ — فقد حسب ان « الغرام » الواحد من المادة ، تحتوي بواطن ذراته على ٢٥ مليون كيلوات ساعة او ما يكفي لرفع درجة حرارة اكثر من مائتي الف طن من الماء من درجة الصفر الى درجة الغليان . وهو مقدار عظيم جداً اذا قورن بمصادر الطاقة التي الفناها . فالغرام الواحد من اجود انواع الفحم لا تزيد الطاقة الناشئة عن احتراقه على جزء من مائة من جزء من الكيلوات ساعة .

وظن العلماء في بدء هذا القرن ان الذرة لا تتجزأ، وان ذرات العناصر هي الوحدات الاولى التي انبنى منها الكون فكل شيء في هذا الوجود ينحل الى بعض هذه الذرات ، اثنتين او ثلاث او اكثر من ذلك ، ولم يخطر ببال احد من العلمـاء ان هذه الذرات يجوز عليها الانحلال والتفكك لانها كانت تصمد لاعنف وسائل التدمير والهدم من نار او كهرباء .

ولكن البحث هدى العلماء الى شيء جديد ، فقد اكتشفت وحدة الكهرباء — الالكترون — وهذه الوحدة لا تخرج الا من جسم، واذن فالالكترون جزء من جسم، اي بعض هذه الذرات .
وحدث ان ترك بعض العلماء عنصراً من تلك العنـاصر التسعين ،

عنصراً من اثقلها، الى جوار فلم فوتوغرافي حساس، فاذا بالفيلم يتأثر بالذي يخرجه هذا العنصر من اشياء، ويدور البحث حول هذه الظاهرة فينكشف الامر عن ان العناصر الثقيلة كالاورانيوم والراديوم تتحلل فعلاً من ذات نفسها، وتخرج اجساماً هي التي فعلت بفلم التصوير ما فعلت. ويعرف فيما بعد ان هذه العناصر الثقيلة تقذف عند تحللها فيما تقذف بالهليوم، اي بعنصر آخر، هو اخف منها كثيراً، وهو الغاز الذي يستخدم في ملء البالونات لرفعها في الهواء. وهكذا تبين ان العنصر الثقيل يتضمن في تركيبه بعض العناصر الخفيفة الاخرى.

اكتشاف اللورد راذرفورد

واستمر علماء الطبيعيات والرياضيات في بحثهم في تركيب الذرة حتى كشف اللورد راذر فورد واعوانه في انكلترا عام ١٩١٩ اسراراً جديدة عن العالم الذري — (وقد توفي راذر فورد منذ عشر سنوات في السادسة والستين من عمره). وقد كان راذرفورد يستخدم في ابحاثه طريقة خاصة، فالجسيمات المنبعثة من عنصر الراديوم التي تعرف باسم جسيمات الفا كان يستخدمها كقنابل يطلقها على ذرات المواد فتهشم تلك الذرات، ثم يدرس الكائنات التي تنتج عن هذا التهشيم، وبذلك توصل العلم الى اماطة اللثام عن الاجزاء التي يتألف منها بناء الذرة. وقد وجد ان هذه الاجزاء متشابهة في الذرات المختلفة، وهذه الاجزاء هي البروتون والالكترون والنيوترون والديلون وبعض جسيمات اخرى شبيهة بها، كما انه وجد ان اثقل العناصر، اي عنصر الاورانيوم، ينتهي في تحلله الذاتي على الزمن الطويل الى ان يصير رصاصاً وهنا ينتقل هذا العالم البريطاني من كشف الى كشف، فيبحث عن اداة جديدة، حجر او قذيفة او غيرها تلقى على هذا الكيان الذري لتهدم منه وتحطم ما تحطم، فيقع على هذه الاداة او القذيفة في عنصر الهليوم نفسه ذلك العنصر الذي ينقذف بطبيعته من عنصر الراديوم. ثم ينكشف لهذا العالم حقيقة اخرى على مكان كبير من الخطورة: هي ان الذرة على صغرها ليست الا مجموعة شمسية تتوسطها شمس وتدور حولها كواكب هي الالكترونات. ويصل بعد ذلك راذر فورد الى ثالث كشوفه، ذلك انه اذا ضرب بقذائفه تلك الشمس التي تتوسط تلك المجموعة الشمسية، تحطمت تلك الشمس نفسها، تلك النواة، او تغيرت وتحولت الى نواة اخرى لعنصر آخر، وبذلك امكن تحويل ذرات العناصر الى ذرات عناصر اخرى، فيتحول الازوت الى اوكسجين، والالومنيوم الى فوسفور. وهكذا تحقق حلم قديم كان يراود افكار الكيميائيين.

الا ان هذه الابحاث ظلت محصورة في دائرة اكاديمية كما ان كميات المواد المستخدمة فيها كانت ضئيلة بحكم طبيعة التجارب، فالغاية هي المعرفة شأن كل بحث علمي، غير ان العلماء كانوا، ولا شك، يدركون خطورة الاحتمالات التي تنطوي عليها هذه التجارب وتعددها وكل بحث اكاديمي صائر يوماً الى تطبيق عملي.

وتعاقبت تجارب العلماء، ولكنها كانت تصطدم بمصاعب كثيرة، اهمها الحاجة الى استعمال آلات ضخمة جديدة لتوليد القوة اللازمة لتحطيم الذرة. وكانت القوى التي يحرزونها من الذرة قليلة جداً لا تتوازى والجهود المبذول في سبيلها، اذ كان عليهم ان يحطموا كل ذرة بمفردها ليتوصلوا الى نواتها، فكانت هذه الاعمال كثيرة النفقات.

وفي سنة ١٩٣٩: اكتشف العلماء ان نواة الذرة تتأثر بالذرات الكهربائية المدعوة بالنيوترون واتضح انها تستطيع ان تشطر الذرة الى شطرين متساويين، فوفر هذا الكشف مشقة تحطيم الذرة بواسطة الآلات الضخمة. واطلق منذ ذلك الحين على النواة المتخررة بهذه الوسيلة اسم نواة اوران. وسارت التجارب شوطاً آخر فتبين

جلسة من جلسات مخترعي القنبلة الذرية ويبدو فيها من اليمين: الاستاذ شادويك مستشار لجنة العلماء البريطانيين التي قدمت الى اميركا للاشتراك في صنع القنابل الذرية فالميجر جنرال غروفس الاميركي المولج بتنفيذ المشروع، فالدكتور طولمان مستشار اللجنة الاميركية العلمية

ان انطـلاق النواة من داخل الذرة بواسطة شرارة نيوترون يولد بدوره شرارة نيوترون اخرى تستطيع تحرير نواة ثانية . وفي ايار ١٩٣٩ اثبت العلماء ان النواة التي تتحرر بفعل النيوترونات تستطيع انتؤلف مع النيوترونات التي تولدهـا سلسلة لا تنتهي ، تجدد نفسها بنفسها ،فالنيوترون يحرر نواة ذرية ، والنواة الذرية تولد بدورهـا نيوترون وهكذا دواليك . على ان هذا العمل خطر جداً لان النواة الاورانية تأخذ بالانفجار حال خروجها من الذرة ، ويتتابع انفجارها بقوة هائلة لا يمكن حصرها .

وهكذا ابتكرت وسيلة لتحويل المادة الى طـاقة ، وليس هذا بغريب فالطاقة التي تصل الينا من الشمس منشؤها تحول مــادة الشمس الى اشعة ، ويقدر ما يتحول من مادة الشمس في الدقيقة الواحدة الى اشعة هو ٢٥٠ مليون طن . ومع ان الارض لا يصل اليها الا جزء قليل من هذه الطاقة ، غير ان مجرد وصولها دليل حسي على انه من الممكن تحول المادة الى طاقة ، واذا كانت المادة تتحول الى طاقة في الشمس فلماذا لا يحدث ذلك على الارض؟ ان الجواب على ذلك انه حادث فعلاً في بعض المواد وهي التي توصف بأنها ذات نشاط اشعاعي مثل الراديوم والاورانيوم ، فقد عرف منذ اواخر القرن الماضي ان هذه المواد تفقد من وزنها بسبب انبعاث الاشعة منهـا . وقد حسب ان كل كيلوجرام ذري من عنصر الراديوم تنبعث منه طاقة بمعدل ٣٠ الف متر في الساعة تقريبـاً ، فتفنى مادته وينقص وزنه بمعدل ١ ، ٢ ملليغرام في كل مئة سنة ، وقد يبدو هذا القدر ضئيلاً بهذا المقيـاس الصغير ... ولكن اذا امكن جمع آلاف الكيلوغرامات من مثل هذه المادة فان النتيجة تكون خطيرة .

وبعد ان عكف العلماء على صنع المادة ذات الخصـائص النيوترونية التي ينبغي ضرب الذرة بها لكي تنتظم عملية التحطيم والتوالد المتواصلين ، فتوصلوا الى مادة تدعى « ايزوتوبان » ادت المهمة المطلوبة منها على الوجه الاكمل . ولم يكن التوصل الى هذه النتيجة بالامر السهل اذ كان عليهم ان يضمنوا تحرير النواة ومـا يتلوها من انفجـارات فور اختلاط النواة بالايزوتوبان بل تجري عندما يريدون ، ولا تحدث رد الفعل المطلوب الا في الوقت المرغوب . ولهذا السبب كانوا يجرون تجاربهم بكمية ضئيلة جـداً من الذرات ، خشية ان يحدث الانفجار على غير ما يشتهون فيدمر كل شيء .



الدكتور بور الدانمركي ، وقد هرب من الدانمرك الى انكلترا في سنة ١٩٤٣ وكانت له اليد الطولى في استخراج المادة الذرية من الاورانيوم

ولما كتب لهم النجاح ، رأوا النواة تخرج بقوتها الهائلة من الذرة ، فتشطر الذرة المجاورة لها وتتعاقب عملية الشطر من تلقـاء نفسها . ولاحظ العلماء ان مفعول هذا التحطيم المتواصل يولد حرارة هائلة تتضاءل عندها حرارة النار ، وضغطاً لا يتصوره العقل .

ومنذ سنوات عديدة ، كانت الاوساط العلمية في مختلف الدول تواصل ابحـاث الذرة للوصول الى كشف القنبلة الذرية ، فالمبدأ العلمي الذي ترتكز عليه معروف ، فهي تتألف في داخلها من مادة ذرية ، ومن جهاز يطلق عليهـا النيوترونات الايزوتوبانية ، فعندمـا تتحطم الذرة الاولى . وتتحرر النواة الاولى ، يتعاقب بعد ذلك انفجار النويات المتحررة فيولد الانفجار تلك الحرارة الهائلة التي تصهر كل شيء ، وذلك الضغط الجبـار الذي يصعق كل شيء وينسفه . ولكن السر المجهول الذي سعى العلماء لكشفه ، والذي هو هدف كل الابحاث الذرية الجارية .. هو نوع المواد التي تتألف منهـا القنبلة ، ونوع الآلات المستعملة لتعيين وقت الشروع في تحطيم الذرات . وكان العلماء في المانيـا وبريطانيا واميركا يواصلون بجد واستمرار هذه الابحاث العلمية للوصول الى هذا السر .

الابحاث الذرية في المانيا

اما في المانيا فنعرف مما تسرب الينا من الانباء ان علماءهـا لم ينفكوا منذ سنوات بعيدة يعملون على اختراع القنبلة الذرية ، غير انه ينبغي للالمان ان يحصلوا على مادة يمكن بعثرة ذراتها بسهولة ، وبعد بحث وتنقيب وجدوا ان الاورانيوم اسهل مادة اذا جرى تحليلها بواسطة « الماء الثقيل » وهذا النوع من الماء نادر الوجود ، ويرجع الكشف عن هذا الماء الى سنة ١٩٣٢ حين قام الاستـاذ يوري الاميركي بالكشف عن الديلتون وهي نواة للايدروجين وزنها ضعف وزن نواة الايدروجين العادية ، لما كان الماء العـادي مؤلفاً من ايدروجين واوكسيجين فقد سمي المركب الناشيء عن



الدكتور فيرز البريطاني ،كبّاً على المجهر يراقب احدى تجارب الذرة

اتحاد الايدروجين الثقيل بالاوكسجين ماء ثقيلا وتختلف خواصه الكيميائية اختلافاً تاماً عن الماء العادي فهو ماء سائل عديم اللون في درجات الحرارة العادية الا انه قاتل لكل شيء حي.

وقد استولى الالمان على المصنع الاوربي الوحيد الذي يستخرج هذا الماء، وهو المركز الكهربائي في «رجوكان» النروجية على مقربة من شتفاقنفر حيث تنحدر شلالات عنيفة، وكان الالمان قد استدعوا عام ١٩٤٠ رئيس المصنع، ليت ترونشتات، واضطروه ان يفشي لهم بعض اسرار قنبلته، فلم يذكر لهم الا الاشياء السطحية، وعلى الرغم من المراقبة الصارمة استطاع هذا ان يتلف الوثائق والمستندات المتعلقة باستخراج الماء الثقيل وان ينجو بعد ذلك الى لندن. وبالرغم من كل ذلك فقد تمكن الالمان ان يستخرجوا في عام ١٩٤٢ كميات لا بأس بها من الماء الثقيل.

وهنا حاول الحلفاء القضاء على هذا المعمل على اي حال، فارسل ٢٥ مظلياً حليفاً فأعدمهم «الغستابو» بالرصاص، وفي ٢٨ شباط ١٩٤٣ هبط مظليون آخرون واستطاعوا بحيل خارقة واساليب بارعة ان يتغلغلوا الى داخل المصنع وان يصلوا الى الصندوق الضخم. حيث يوجد الاورانيوم فدسوا القنابل في سائر انحاء المركز الحساسة. وما هي الا دقائق حتى اخذ المصنع يتفجر والنار الرهيبة تلتهم كل شيء على عدة كيلومترات من المكان.

ولكن الالمان شديدو المراس، لقد اعادوا بناء المصنع ثلاث مرات، ثم اصبح هدفاً تقليدياً لغارات الطيران الحليف.

وقد استطاع الالمان في نيسان ١٩٤٤ ان يكدسوا، بفضل عنادهم، ١٢ طناً من الماء الثقيل، واستعملوا هذا الماء في النمسا لاختبار القنبلة المذكورة وتجربتها، فعلمت بهذا الامر دائرة الاستخبارات البريطانية وارسلت ثلاثة مخربين نسفوا مكان الاختبار نسفاً ذريعاً، وتأخر بذلك صنع القنبلة العجيبة مرة اخرى. وقبل استسلام المانيا بثلاثة اشهر طلب ليت ترونشتات، وكان قد اصبح «ماجور» في الجيش النروجي الحر، ان ينزل هو نفسه بالمظلة لكي يتحقق بنفسه ان مركز الكهرباء في رجوكان لن يسعه ان يدهم الحلفاء بأية مفاجأة.. ولكن ترونشتات لقي حتفه قبل ان يعرف شيئاً... واضطرت المانيا الى الاستسلام دون ان تتمكن من الاستفادة من هذا الاختراع الرهيب الذي يقلب الحياة غير الحياة، وقد عثرت احدى الوحدات البريطانية التي كانت تطوف بأرجاء مصنع صغير للحرير في شمال هانوفر، على تصميمات للقنبلة الذرية كان الالمان قد وضعوها منذ اربعة اشهر، وكان الالمان قد اوشكوا ان يتموا هذا العمل في معمل صغير مؤلف من غرفتين بالمصنع، وقد ارسل احد مشاهير علماء الابحاث الالمان والذي كان قائماً بالتجارب، بالطائرة الى بريطانيا في نفس اليوم الذي قبض فيه عليه، وقد قدر هذا العالم ان عمله كان يتم في شهر تشرين الاول من هذا العام، كما قال ان الحكومة وضعت تحت تصرفه مبالغ وادوات غير محدودة.

وعرف من جهة ثانية ان مختبرات مؤسسة القيصر فلهلم في برلين قد توصلت فعلاً الى سر الانفجار الذري، وان العلماء الالمان شرعوا يبنون في مختبرات «هولز لابين» قنبلة ذرية لا يزيد حجمها على حجم الساعة الدقاقة كافية لتدمير لندن. وصرح الكولونيل جون كيك رئيس دائرة الجاسوسية العلمية الاميركية، ان اعمال التحري في تلك المختبرات اثبتت ان الالمان كانوا على وشك الوصول الى هدفهم عند انتهاء الحرب. وان العلماء الالمان كانوا يحاولون الجمع بين القنبلة الطائرة والقنبلة الذرية، فتحشى الاولى بالثانية، وتطلق الى حيث تنشر الموت والدمار، وتغير مجرى الحرب، وتمنح النصر لمن تشاء!..



السر جورج طومسون رئيس لجنة العلماء البريطانيين واحد المتخصصين في دراسة الذرة منذ عشرين سنة

كان العلماء في بريطانيا يواصلون ابحاثهم دون راحة او ملل . وكانت الابحاث دائرة برياسة الاستاذ بيتر كابايتزا الروسي المولد، وهو من علماء الطبيعيات النابهين ، وقد ذهب الى موسكو في زيارة في عام ١٩٣٥ ولم يعرف عنه شيء بعد ذلك ، وظل العمل الذي تركه وراءه جارياً . وكان البريطانيون خلال هذه الحرب يعلمون ان العلماء في اميركا يقومون بأبحاث مماثلة ، ولذلك لم يكن من الصعب توحيد المجهودين . وكان الحلفاء منذ عام ١٩٤٢ ، كما قال الرئيس ترومان في اعلانه نبأ كشف القنبلة الذرية، يعرفون ان الالمان يعملون بحماسة للتوصل الى طريقة لاضافة الطاقة الذرية الى الاسلحة الحربية الاخرى التي كانوا يأملون استعباد العالم بها » .

ومن الطبيعي ان لا يكتفي الحلفاء بعرقلة ابحاث الالمان العلمية في عالم الذرات ، بل لا بد للحلفاء من ان يواصلوا البحث مشتركين حتى يسبقوا الالمان ، فانفق البريطانيون والاميركيون « الفي مليون دولار في سبيل اعظم مقامرة علمية في التاريخ » ولكنها مقامرة انتهت بالفوز .

ما هي المراحل التي تم فيها هذا الفوز ؟ اجاب عن ذلك المستر اتلي رئيس الوزارة البريطانية عندما تلا بيان المستر تشرشل الذي كان قد اعده عن هذا الموضوع قبل استقالة وزارته وفيه يقول : « عندما حلت سنة ١٩٣٩ كان معروفاً بين العلماء في كثير من الدول ان اطلاق القوة بواسطة تحطيم الذرة امر مستطاع وكان لا بد من حل بعض المشكلات قبل ان يصبح هذا الاحتمال امراً ممكناً عملياً وهي مشكلات متعددة ضخمة ولم يكن كثير من العلماء يجسرون على تقرير ان هذه القنبلة يمكن ان تعد للعمل في سنة ١٩٤٥ .

وقد رأت الحكومة انه يحسن مواصلة هذه البحوث على الرغم من كثرة المزاعم المتناقضة من جانب علمائنا . وفي هذه المرحلة كانت البحوث مقصورة على جامعاتنا — وخاصة اكسفورد وكمبريدج والكلية الملكية بلندن وليفربول وبرمنغهام وعندما شكلت الوزارة الائتلافية كانت مسؤولية تنظيم العمل والتقدم به الى الامام واقعة على وزارة انتاج الطائرات التي كانت تستأنس بارشادات لجنة من كبار العلماء على رأسهم المستر جورج تومسون .

« وقد حدث في الوقت نفسه تبادل في الاراء بين العلماء الذين كانوا يقومون بهذا العمل في المملكة المتحدة البريطانية ، والولايات المتحدة .

« وقد بلغ من تقدم الاعمال انه في صيف سنة ١٩٤١ استطاعت لجنة السير جورج تومسون ان تذكر في تقريرها انها ترى ان ثمة فرصة معقولة لانتاج القنبلة الجديدة قبل نهاية الحرب .



السر تشارلس داروين

وقد اوصى رؤساء هيئات اركان الحرب بالعمل في الحال ، وتقرر انشاء قسم خاص في مصلحة الابحاث العلمية والصناعية للاشراف على العمل وتوجيهه وقد وافقت شركة الصناعات الكيماوية البريطانية على الاستغناء عن المستر « اكرز » لكي يتولى الاشراف على الاعمال في هذه الادارة .

وعندما اصبح السير جون اندرسون وزيراً للمالية طلب اليه المستر تشرشل ان يوالي اشرافه على هذه الاعمال التي كانت له مؤهلات خاصة فيها . وقد انشئت لجنة استشارية تحت رياسة المستر « اكرز » ليستعين بها عند الحاجة وكانت هناك لجنة فنية مؤلفة في الاصل من السير جيمس شادويك ، والبروفسور بيراس ، والدكاترة هاليان ، وسيمون ، وسلاد . ثم انضم اليهم فيما بعد السير شارلس داروين ، والبروفسور كوكروفت ، والبروفسور اوليفانت ، والبروفسور فيذر .

وفي ١١ اكتوبر سنة ١٩٤١ اقترح الرئيس روزفلت امكان تنسيق هذه الجهود بصورة مفيدة وبناء على ذلك اجتمعت الجهود البريطانية والاميركية كلها وسافر عدد من العلماء البريطانيين الى الولايات المتحدة .

وفي صيف عام ١٩٤٢ كان الوقت قد حان لاتخاذ قرار بشأن البدء في انشاء مصانع لانتاج هذه القنابل على نطاق واسع .

وذكر المستر تشرشل « ان بريطانيا العظمى كانت تقوم بالانتاج الحربي بتوسع بلغ مداه الكامل فلم يكن في استطاعتنا ان نتدخل مثل هذا التدخل الخطير في برنامج انتاج الذخيرة الذي عليه كانت تعتمد عملياتنا الحربية ، وكانت الولايات المتحدة بعيدة عن كل خطر من ناحية الضرب بالقنابل وعلى ذلك قر قرارنا على

— التتمة في الصفحة ٥٨ —

الآلام

لبدوي الجبل

اللاذقية

ألقى الاستاذ محمد سليمان الاحمد (بدوي الجبل) هذه القصيدة في ذكرى الزعيم ابراهيم هنانو بحلب في الثالث والعشرين من تشرين الثاني ١٩٤١، وقد منعت الرقابة آنذاك نشرها.

ولهذه القصيدة قصة، فقد نظمت في وقت كانت السلطات الفرنسية تفرض فيه على «بدوي الجبل» اقامة جبرية في بيته في اللاذقية، وظل سجين بيته اربعة اشهر انتهت بخروجه متنكراً وسفره الى حلب تلبية لدعوة اخوانه فيها لحضور الحفلة والقاء القصيدة. وكانت السلطات قد انذرته بأن خروجه من بيته يؤدي الى وضعه في السجن، فلما دعاه دولة السيد سعدالله الجابري لالقاء القصيدة، اجابه بأنه قد يعتقل قبل ان ينتهي الى حلب، فاصر السيد الجابري واخبره ان في وضعه بالسجن على كل حال، خدمة للنشاط السياسي الوطني. فغادر منزله متوقعاً في كل مكان ان يلقى عليه القبض... ولكنه استطاع ان يصل الى حلب ويحضر الحفل ويلقي القصيدة، ويعود بعد ذلك الى اللاذقية دون ان تحرك السلطات الفرنسية ساكناً. فاعتبر الاستاذ بدوي الجبل هذا السكوت افراجاً عنه، وتنفس الصعداء مستقبلاً وجه الحرية لمعاودة نشاطه في وطنه. فلا عجب اذا اعتبرت هذه القصيدة عند الاستاذ بدوي الجبل فاصلاً بين التقييد والحرية، وبدء تاريخ جديد لنشاط الوطنيين السياسي لتحقيق الاماني القومية.

٥

ألفت حرك لاشكوى ولا سهد ... يا جمرة في حنايا الصدر تتقد

مري على كبدي حمراء دامية ... يبقى الحنين اذا لم تسلم الكبد

ومـا اضيق بهم حين يطرقني ... لقد تقاسم حبي البؤس والرغد

اني أدلل آلامي وأمسحها ... مسح الشفيق واجلوها وانتقد

حتى تطل على الدنيا بزينتها ... حسناء تبدو عليها نعمة ودد

بعض الخطوب ظلام لا صباح له ... وبعضها الفجر فيها النور والرشد

تفجر الخير منه روضة أنفاً ... تدعو الى ظلها وانين قد جهدوا

جرى سنا البدر نوراً في خمائلها ... فرحت بالموجة الزهراء ابترد

اذا هم رشفوا من مائها جرعاً ... توثبت عزمات منهمُ جدد

ومدلجين اضاء الحزن ليلهمُ ... حتى اذا انطفأت احزانهم قعدوا

حادوا عن المحنة الكبرى ولو صحبوا ... نيرانها الحمر ما ضلوا ولا انفردوا

فيمَ التنكر للآلام قاسيةً ... اذا تباعد في ميدانها الامد

الطالعون على الدنيا بنصرهم ... لولا الفواجع هل شدوا وهل نهدوا

اذا ونوا راح يذكي من عزائمهم … حزن هو العدة الشهباء والعدد
سقاهم خمرة الآلام فاضطرموا … يستلهمون من الآلام واحتشدوا
اما الشعوب وقد ضجت عواصفها … فصاحب النصر فيها الثاكل الحرد
لقد تلاقى على الغايات من ظفروا … بالملك في زحمة الدنيا ومن حقدوا

*

ان الألى انكر الاحزان سامرهم … لغو من الناس لا ذموا ولا حمدوا
اذا تباكوا من البلوى فما عرفوا … حزن المحبين في البلوى ولا وجدوا
الظامئون وظنوا انهم ثملوا … والغائبون وظنوا انهم شهدوا
يا خمرة الحزن هذي الكاس مترعة … للشاربين وهذا الشاعر الغرد
ان الندامى على عهد الحبيب بهم … لا جانبوا النشوة الكبرى ولا زهدوا

لا اوحش الله قلبي من مواجعه … ولا تحول عن نعمائها الحسد
ولا شفى الله جرحاً في سريرته … نديان ينطف منه الخمر والشهد
فجرت قلبي رثاء ما وفين به … حق الزعيم – قواف كالضحى شرد
الناقلات الى الاجيال ما ظلموا … من الاباة وما راعوا وما اضطهدوا

*

صلى الاله على قبر يطوف به … – كبيت مكة – من حجوا ومن قصدوا
اغفى ابو طارق بعد السهاد به … وخلف الهم والبلوى لمن سهدوا
ضاو من السقم ضجت في شمائله … عواصف الحق والامواج والزبد
اذا اثير نضا عنه مواجعه … كما تفلت من اشراكه الاسد
يروع في مقلتيه بارق عجب … وعالم عبقري السحر منفرد
يغالب البشر اسقاماً تزان به … ابى لها الكبر ان يأسى لها احد
داء ملح ونفس لا تذل له … حرب تكافأ فيها البأس والعدد
تلك البشاشة ابلى الداء نضرتها … فراح يلمح في نعمائها الكمد
كالغيم يحجب حسن الشمس طالعة … وما تحول عنها الحسن والرأد
نعمت منك بساعات ممطرة … كأنها الحلم دان وهو مبتعد
وصحبة كقديم الراح لو جليت … لليائسين حيا كأسها سعدوا

*

لا يبعد الله احباباً فجعت بهم … وما علالة قلبي بعدما بعدوا
الناشئون على نعماء مترفة … تقيلوا الرمل في الصحراء واتسدوا

تلك الجسوم التي حز الحرير بها … حريرها في العراء الموحش الزرد
صادين للموت ايماناً وموجدة … فكلما لاح منه منهل وردوا
على الصحاصح هامات معطرة … وفي الرمال بنان افردت ويد
في كل منزلة قبر تلم به … هوج الرياح وينأى الاهل والولد
مشتتين فمن اجسادهم مزق … على الاديم ومن مرانهم قصد
مصارع بعطور الحق زاكية … كأنما سكبوا فيها الذي اعتقدوا
حنا السراب عليها وهي ظامئة … حرى الجوانح لا غمر ولا ثمد
بموحش من رمال البيد منبسط … يضل في شاطئيه الصبر والجلد
مسحت دمعي من ذكراهم بيد … وامسكت كبدي – الا تذوب – يد

*

يا هدنة من قراع الدهر دامية … الا يهدهد من آلامك الابد
خيل الزعيم تنزى في شكائمها … ما فاتها قنص في الحي او طرد
عرينة الحق في الشهباء منجبة … يروع انى التفت الظفر واللبد
اذا الزعيم تولى عن شبولتها … حمى الشبولة اخوان له نجد
اما الشباب فما خانوا رسالته … عند الكفاح ولا حادوا ولا جحدوا
اذا ارتمت ظلمات اليأس حالكة … شق الدجى كوكب من ذكره يقد
حول الزعامة فتيان غطارفة … لا ينقض الدهر ما شدوا وما عقدوا
الساخرون من الاقزام يضحكهم … ان راح يلبس جلد الضيغم النقد
المؤمنون اذا ما بايعوا صدقوا … والصابرون اذا جد الوغى صمدوا
سقتهم كف ابراهيم صافية … من خمرة الحق تغري كل من يرد
ففي الدماء سعير من سلافتها … عجلان يهدأ احياناً ويتقد
بين الجوانح الا انه انف … وفي الشمائل الا انه صيد
اذكى ابو طارق في الشرق جمرتها … حمراء تلتهم الجلى وتزدرد
اذا ونت وهتفنا باسمه جمحت … تعيد سيرتها الاولى وتطرد
فذكره الامل الهادي اذا انتبهوا … وخلقه الحكم الهاني اذا رقدوا
زعامة الحق لا شوهاء يرفعها … على الرمال الهوى والزور والفند

*

ما لي ارى الفرس الشقراء عارية … على المرابط لا تطغى فتنجرد
آب المغيرون جنت خيلهم مرحاً … وآن ان يستريح الفارس النجد

من رجيع احاديثها

حين يصهرك الألم

بقلم شكري فيصل
استاذ في تجهيز دمشق

حين تصهرك الاحزان، ياصديقي وتعبث بك هذا العبث اللاهي، وتتلقفك نارها المتقدة من يمين وشمال، وتأخذ عليك ألسنتها الحمر طريقك من امام ومن وراء .. فاحذر ان يتملكك اليأس، او يغلب عليك القنوط، او تعاجلك الهزيمة .. فما كان للاحزان ان تنال منك : ان تقهر اراداتك السامية، وتكبت اهواءك العالية، وتطمس من رغباتك المثلى .. وما كان للاحزان ان تبعثك على الصمت وانت الوتر الشادي، وما كان لها ان تحملك على الهدوء وانت النشاط الهادي، وما كان لها ان تكرهك على العزلة وانت الذي خضت كل سبيل، ومضيت في كل طريق، وعرفت كل ناس .. وبلوت منهم، هؤلاء الناس جميعاً، اطايبهم حينا، ومكارههم احيانا .. وادركت صفاءهم مرة، واكدارهم مرات، واستطعت ان تضع للطريق الصوى، وان ترسم للشعاب المعالم، وان تنفذ بالنظرة الخاطفة الى المدى البعيد.

.. وحين تصهرك الالام، يا صديقي، وتنال منك هذا المنال القاسي، وتتلظى، انت، في كآبتها المحرقة، وتتلوى في بركانها المشبوب .. فاحذر ان تغمض عينيك على الدمعة الشاكية، وان تعض شفتيك على الآهة الباكية، وان تنبض اعماقك بالزفرة النادبة .. فما كان للالم ان يحرق، وانما هو يطهر .. وما كان لكآبة الاحزان ان تبكي، وانما هي تثير .. وما كان لها ان تنال من الانسان القوي، وانما هي توقظ فيه هذه المشاعر التي كادت تخفتها اوضار المادة وتهز فيه هذه الاحاسيس التي كادت تذهب بها مواضعات الحياة، وتنبه منه دنياه الكبرى لتقول له انه ينطوي على العالم الاكبر. وحين تبكي ياصديقي . حين يبتعث الألم هذه الدمعات في مآقيك، ويفجرها في اجفانك، وينساب بها على خديك، وينظمها براقة، كقطرات الندى على حفافي زنبقة، ويحدرها تترى متساقطة .. فاحذر ان تخجل منها، هذه الدموع، غشاوة تستر عينيك، وتغطي مقلتيك، وتحول بينك وبين ان تحدق .. وانما يكون اكبر همك ان تفيد من نقائها، هذا، الفريد، وصفائها، هذا، البارع، وان تنظر من خلالها لتكون نظرتك اعمق غورا، وارهف حدا، وابعد أثراً .. فما كان صفاء الدموع، منذ خلقها الله اصفي ما يتحدر من انسان، الا ليستصفي نظراتنا فينزهها عن التحديق المبهم، او النظرة الساهمة، او التطلع القلق ... وحين تلح عليك الاحزان، ياصديقي، تعصف بك انواؤها هذه الثقال، ويثور في وجهك غبارها هذا المصاعد، وتغطي طريقك سحبها هذه القاتمة، وتلوي بأثوابك هباتها هذه الثائرة، وتلطمك لفحاتها بوجهها الكالح العبوس .. وتعود لا تدري كيف تسلك، ولا اين تمضي، وتتلمس طريقك بين الوية من الغبار، كأنها اجنحة جيش من الجن، وتحس كأنما اجتمعت عليك كل قوى الارض، والتفت حولك كل قوى السماء، وتظاهرت عليك كل عبسات الكون ... فحذار ان تنطق انك ضللت، او تحسب انك تهت، او يمر بك الخاطر انك قد سقطت . فانما هي الثورة العاصفة، لتهدأ حين تمسها رحمة الله، والغبار المصاعد ليذوب حين تتلقفه قطرات من حنو القدرة، والسحب الكالحة لتتبدد حين تمر بها نسمات العناية، واللفحات العابسة لترتد برداً وسلاماً حين تصافحها مكارم السماء، وانما هو الابتلاء والاختبار انك اجتزت هذا الطور من الطفولة الاولى، الهائمة، المبهجة، التي لا تدرك لها رأياً، ولا تعرف لها مستقرا ... وأصبحت الرجل القوي الذي يتملكه الايمان، فيضحك مع العبوس، ويخالطه اليقين، فيشتد مع الضعف، وتملؤه الثقة، فيقوى على المثبطات .

وحين يبدو لعينيك الصباح، يا صديقي، وقد غشيتك الوان من الكآبة .. فحذار ان تلوي عنقك، او تغض من طرفك، او تطرق اطراقة الحزين .. فما يكون للكآبة العارضة ان تطمس الجمال العادي، وما يكون للألم الملم ان يذهب بالنعيم المقيم .. وهل كان الصباح الوضيء الا ليخلق في النفوس معنى الوضاءة، وليمحو فيها مسارب الامل، وليبث فيها امل الحياة الناعمة املاً متجدداً، ينازع الدهر، ويغالب الزمن، وتبقى له روعته ووضاءته .

.. وما يكون لك يا صديقي، اذ تبدو لعينيك فتنة المساء، وانت ساهم واجم، ان تصبر على هذا الوجوم . فالطبيعة التي تغني لك اغنية السرور .. والشمس التي تتراقص على الافق، ثم ترتد، الى الوراء، خطوة خطوة، ليسدل عليها نقاب الليل، كما ترتد الغانية على المسرح، الى الوراء، خطوة خطوة، ليسدل عليها الستار الخفاق .. والنسمات اللطاف التي توقظ فيك تيهك السادر، كلها تحاول ان تنتزعك من اوهام نفسك، لتقول لك ان الطبيعة

لا ترضى لك الا السن الضاحكة على الحزن، والثغر المبتسم على المكاره، والفم المنطلق بالاغنية المرحة على الآهة المكبوتة

لا يؤنسنك، يا صديقي، ان تكون متألما.. فما يكون لنا ان نرى في الالم الا القوة التي نفيدها، والا الجلد الذي نكسبه، والا الصبر الذي نتحلى به.. ما يكون لنا ان نستقبل الالم بغير المرح الطروب.. فمن هذا الالم تستثير نفوسنا، ومن هـذا الالم تستثار مواهبنا.. وعن طريق هذا الالم نشارك هؤلاء البؤساء مواجدهم بوجداننا، ومصاعبهم بقلوبنا.

ان ألمنا، يا صديقي، هو الزيت الذي تنغمس فيه فتيلة نفوسنا فلنتقبله كذلك.. وحذار.. حذار ان نريق هـذا الزيت في ضلالات الحياة، كما يريق الطفل ذائب الدواء، وهو يحسبه ماء، جهلا وعبثاً. لاننا لا نريد ان نظل اطفالا.. وما مقياس رجولتنا ان لم تزنها الالام بالندوب الغر المجيدة؟!..

ان الدنيا كلها لتعلمك، يا صديقي، ان الالم وحده سبيل اللذة، وان الاحزان وحدها سبيل السرور.. وحـين تتفجر في النفس آلامها، وتنبض في اعماقها احزانها، حينذاك تستشعر الفرحة، وتحس الرضى، وتجد المناة.. لانها من فيض هذا النبع المتفجر تفيض، وعلى نبضات هذا القلب الخافق تسمو، وعلى هدى هذه النـار المشبوبة تسير.. لتحلق في الاجواء الصافية، طاهرة، منزهة.. تقبل عليها في حماس اللاغب يجد الماء، وتعرف منها في نهم الجائع يجد الغذاء، وتنعم باحضانها في حنين الطفل يرى امه بعد فراق.

ارأيت، يا صديقي، كيف لا يلذ الصباح الا الذين يألمـون لليل المنهزم.. ولا تتملك روعة المساء الا الذين يبكيهم وداع الشمس.. ولا يضحك للزهر الا الذين يعيشون مع الاشجـار في عرائها الطويل، طيلة ايام الشتاء القاسية، يبكونها مع عيون المطر، ويتأوهون لها مع تنهدات الريح، ويندبونها مع عويل الاعصار.. فاذا تشقق الغصن، واخضرت المنابت، ادركوا اكثر مـن كل انسان، جمال الغصن المتشقق، وبهاء النبت المخضر، وحسن الزهر الابيض.. يا حسن الزهر الابيض بعد الترقب الطويل. ارأيت، ارأيت يا صديقي، كيف لا تسحر الليالي المقمرة الا اولئك الذين خبطوا في الظلمة الممتدة، وساروا مع الليالي الحـالكة، وتلمسوا طريقهم في الشعاب الوعرة، وادمى الشوك اقدامهم، وأكل الصخر ايديهم يتحسسون السبيل، ونال الاذى منهم كل منال.. حتى اذا اظلهم البدر، احسوا النشوة فخرجوا وحدهم يهيمون، وظلوا وحدهم يستمتعون.. حتى النهر يا صديقي.. حتى النهر الوادع، لا تخالط وداعته الا نفوس الذين اشفقوا عليه، ثائراً غضبـان، يقذف عبريه بالزبد، ويضرب حفافيه بمنكبه العريـض، ويلطم بعضه بعضا، وتغور جوانب من نفسه، فتسمع هديراً وزئيرا.. فاذا تملكه الرضى، وغلب عليه الهدوء، ومضى سلسـلا رائقاً، ونغماً فائضاً، وأنشودة ناعمة، احسسنا فيه هذه الوداعة، واستمعنا له هذه الاغنية الطروب.

كل شيء كذلك، في الطبيعة الام، يا صديقي.. ومايكون للانسان ان يسهو عن سنة الطبيعة، ان يغفل احد جانبيهـا.. فيتلقى الالم بالتبرم، ويستقبل الحادثات بالسخط.. انه ان فعل ذلك خسر اعمق الجوانب في نفسه، ومزق اروع الصفحات في قلبه، وبدد الروح التي تحفظ عليه عالمه الداخلي الحافل.

.. لسنا نحن المساكين.. ولكنهم اولئك الذين لا يتألمون هم المساكين.. ولسنا نحن الذين نستحـق الرثاء.. ولكنهم اولئك الذين لا تصهرهم الالام هم الذين يستحقون الرثاء.. لقـد ظل فيهم خبثهم يطفىء بريقهم، ويذهب بنورهم، ويدع في نفوسهم هذه الكنوز المقفلة لا تتفتح.. لان الالم وحده كفيل ان يكشف هذه الكنوز بريقاً خاطفاً يهدي البصائر.

.. حين تستشعر، يا صديقي، ان الألم اذ يهزك انما يهزك هزة الرضى، ويستثيرك استثارة الود، ويكويك كي الطبيب، وينال منك ما ينال الكير من الحديد، يطرح غشه، وينفي صدأه ويستصفي جوهره، ويفعل بك ما تفعل المطرقة بالمعدن، تهذبه وتسويه، وتصقله وتكونه.. حين تستشعر ذلك بالرضى والود، فانت انسان، يا صديقي، يشعر ويذوق ويستمتع، ويحس الحياة الاحساس الواضح، ويراها الرؤية التي يكشفها الله لعباده المصطفين الاخيار.

.. من هذه الآلام التي يتبرم بها هؤلاء الناس الذين لم يتذوقوا دنياهم.. صاغ الشعراء، يا صديقي، اروع اناشيدهم، وألف المفنون ابرع الحانهم. وفي مداد الآلام غمس الكتّاب اقلامهم ليكتبوا اجمل فصولهم واكرم آثارهم.. ومن اصباغ هذه الآلام استقى المصورون لوحاتهم ومخلفاتهم، وعلى هدهدتها رسم المهندسون، وبنى البناؤن، وصاغ الصائغون.. وفي غمار الالام التي لا تعرف كيف تصبر، والتي خاضها العلماء، والرواد والمكتشفون نبتت هذه المدنية يا صديقي.. فحذار.. حذار ان اسمعك تشكو آلامك شكاة الضعيف.. لاني اريدك رجلا.

دمشق

شكري فيصل



الاقطاعية في الادب والعالم

١ السرقات في الشعر العربي – قصة ترتيب لزوميات المعري – قضية الدكتور عبد الوهاب عزام

بقلم عمر فروخ
دكتور في الفلسفة

كان الشعراء الاقدمون مساكين !

كان احدهم محروماً من الكتاب المطبوع ومن الديوان المجموع لا يعرف الخبر ولا تصل اليه القصائد الا على ظهور الابل ضاربة في طول الصحراء وعرضها. وقد يعيش احدهم ويموت ولا يسمع بذكر شاعر يحيا معه في زمن واحد وفي بقعة واحدة، او لا يراه على شهرتيهما كليهما. كالذي يحكي عن ابي الطيب المتنبي وابن هاني الاندلسي . توفي المتنبي عام ٣٥٤ للهجرة وتوفي ابن هاني بعده بتسع سنوات ، ولكنهما لم يلتقيا . او كالذي يقال عن ابي نواس ومسلم بن الوليد وغيرهما من الشعراء الذين عاشوا في بغداد في اواخر القرن الثاني، فانهم لم يعرفوا ديك الجن الحمصي الذي كان في حمص .

ولولا ان ابا نواس اصر في اثناء رحلته الى مصر على ان يمر بحمص ويجتمع بديك الجن لما قُدّر لهما ان يلتقيا . ويأتي نقاد الادب الى ديوانين قد جُمعا بعد عشرات السنين او مئاتها وقد لعبت بها ألسن الرواة وايدي الزمن ، فاذا وجدوا عند الشاعر المتأخر معنى يشبه ما عند المتقدم ، اللهم او شبه معنى ، وضعوا يدهم على المتأخر وقالوا : لقد سرق هذا من ذاك . وعسى ان يكون احد البيتين بعيداً عن الآخر بعداً عظيماً ، ومع ذلك فقد كانوا يصرون على ان هذا المتأخر قد اخذه من المتقدم عليه . لما قال ابو نواس بيته المعروف المشهور :

وليس على الله بمستنكر ... ان يجمع العالم في واحد

سارت به الركبان اربعمائة عام حتى وضع ابن الاثير (ت ٦٣٧ للهجرة) كتابه « المثل السائر » فلم يقبل بأن يكون هذا المعنى مبتكراً بل قال : « وانما هو مأخوذ من قول جرير :

اذا غضبت عليك بنو تميم ... حسبت الناس كلهم غضابا» .

تأمل - يرحمك الله – قول ابن الاثير : « وانما هو ... » ثم استعرض علمَي النحو والبلاغة لتعلم انه (واعني هذا القول) للتخصيص والحصر والتأكيد : اي ان معنى ابي نواس ليس شيئاً سوى قول جرير ! – على بعد ما بين المعنيين .

ولقد اتفق في تاريخ الادب المتطاول ان اخذ شاعر صغير من شاعر كبير بيتاً من الشعر او تناول شاعر مشهور معنى من شاعر مغمور ، ومع ذلك فان النقاد كانوا في كل مناسبة يضعون يدهم على الآخذ ويقولون له «سرقت !» . وربما حطوا من مقامه وربما انكروا عليه ان يكون شاعراً . مع انه لم يكن يأخذ الا البيت الواحد او لم يكن يسطو الا على المعنى المفرد او اللفظة المفردة . ولم يكن النقاد يعفون عن شيء من ذلك ، ولو كان توارد خواطر فعلا . ويدهشك ان تعلم ان بعض النقاد قد انكر توارد الخواطر البتة ، فقد الف الحسن بن بشر الآمدي كتاباً في ان الشاعرين لا تتفق خواطرهما .

ولكنّ هنالك الى جانب هذا كله نوعاً آخر عرف في تاريخ الادب ، ذلك ان بعض الشعراء الذين اشتهروا « نشأ لهم اقطاعية ادبية » . فلما اشتهر عمر بن ابي ربيعة بالغزل الصريح – مع انه لم يكن في ذلك اشعر من وضاح اليمن او العرجي – اخذ الناس ينسبون اليه كل جميل من هذا الغزل ، كما ان الناس فيما بعد كانوا ينحلون ابا نواس كل معنى مستجاد في الخمر . وبلغت الجرأة – حتى لا استعمل كلمة غيرها – بالفرزدق ، فيما رووا ، انه كان ، لشهرته في الشعر ومقام قبيلته بين القبائل ، يسطو جهراً على الشعر . فقد سمع الفرزدق يوماً ابن ميادة – واسمه الرمّاح بن ابرد – ينشد (راجع الاغاني ٢ : ٢٦٧ ، طبعة دار الكتب) :

لو ان جميع الناس كانوا بتلعة ... وجئت بجدي ظالم وابن ظالم ،
لظلت رقاب الناس خاضعة لنا ... سجوداً على اقدامنا بالجماجم !

فاقبل عليه الفرزدق وقال له : « انت يا ابن ابرد صاحب هذه الصفة ! كذبت ... انا والله اولى بالبيتين منك » . وزعم قوم انه قال له : اما والله يا ابن الفارسية ، لتدعن هذا القول لي او لأنبشن امك من قبرها ! » ثم اقبل الفرزدق على راويته وقال له : اضمم هذين البيتين اليك واجعلهما :

لو ان جميع الناس كانوا بتلعة ... وجئت بجدي دارم وابن دارم
لظلت رقاب الناس خاضعة لنا ... سجوداً على اقدامنا بالجماجم

فأطرق ابن ميادة وما اجاب الفرزدق بحرف (خوفاً منه ومن قومه) ومضى الفرزدق فانتحلهما .

في اواخر عام ١٩٤٣ كان العالم العربي مقبلاً على

الاحتفال بذكرى مرور الف عام هجري على مولد ابي العلاء المعري . في ذلك الحين خطر لي ان اضع كتاباً لهذه المناسبة فكتبت كتاب « حكيم المعرة » وقدمته الى الطبع في الخامس عشر من شباط عام ١٩٤٤ ، واخرجته المطبعة الى الناس في الرابع من آذار ١٩٤٤ . في هذا الكتاب تعرضت لمشكلة من اعقد المشاكل ومن اشدها خطراً في دراسة ابي العلاء : مشكلة التناقض في آرائه . ولقد كنت لشدة تمرسي بديوان اللزوميات مقتنعاً اقتناعاً وجدانياً بأن هذا التناقض امر مزعوم لا حقيقة له على الرغم من ان الدكتور طه حسين وفلاناً وفلاناً يقولون به . ولكن الاقتناع الوجداني وحده لا يكفي في اثبات الرأي . فخطر لي – قبل زمن طويل – ان الوصول الى ترتيب تاريخي للزوميات قد يحل هذه المشكلة ، وكذلك قد لا يحلها ايضاً . على انني انصرفت الى العمل بذلك ، وكان مفتاح العمل ان المعري نفسه قد ذكر في مقدمته انه «رتب اللزوميات بعد ان فرغ من نظمها» . .

هنا اكببت على مطالعة اللزوميات لاجد المعالم التي استطيع ان ارد بها كل لزومية الى زمنها ، فوضحت امامي معالم كثار بعضها اشد بروزاً من بعض . فتركت المعالم البعيدة واخترت من بينها كلها اربعة :

اولا – الاشارات التاريخية ، وهي الحوادث التي ذكرها ابو العلاء في لزومياته وذكرها المؤرخون ايضاً في كتبهم واكتفيت من ذلك بحادثة واحدة هي قصة امير حلب صالح بن مرداس وحصاره المعرة . ولقد عرفت هذه الحادثة بما لا مزيد عليه من الوضوح في كتب التاريخ ، كما ان المعري قد خصها بعدد من اللزوميات متفرقة في احرف الروي المختلفة : في حرف الدال والراء والقاف واللام . لقد كان رأيي ان المعري نظم هذه اللزوميات المتعلقة بصالح بن مرداس في زمن واحد او في ازمان متقاربة ثم فرقها – بعد ان انتهى من نظم اللزوميات كلها – في اماكنها المعهودة .

ثانياً – رأيت المعري يشير الى عمره في اثناء نظم اللزوميات فيذكر بصراحة ووضوح ان عمره اربعون او اقل او اكثر ، ثم يذكر ان عمره خمسون او قريب من خمسين ، ثم يذكر ان عمره ستون الخ . وهنا خطر لي انه لا يجوز ان يقول مثلا ان عمره ستون عاماً اذا كان ينظم وعمره اربعون ، والعكس بالعكس ، فوضح لي ان ذكر السن في اللزوميات دليل قوي لترتيبها .

ثالثاً – وكذلك رأيت المعري يذكر ادوار حياته هو في اللزوميات فيشير الى شبابه وشعره الاسود والى شيخوخته وشيبه والى ملله من الحياة او قرب ارتحاله عنها بعد ان ذكر خلاف ذلك . فتبين لي ان هذه القرينة تدعم القرينة التي سبقتها وتساعد على ترتيب اللزوميات ترتيباً تاريخياً .

رابعاً – الاسلوب !

مما لا ريب فيه ان اسلوب الانسان يتبدل مع تقدمه في السن . الا ان ذلك من اشد الامور تعقداً في تاريخ الدراسات الادبية . واكتشاف تطور الاساليب يحتاج الى تثقيف ادبي شامل في اتساعه وفي عمقه .

بهذه القرائن الاربع استطعت ان اعرف على وجه التقريب احياناً وعلى وجه الحصر حيناً ترتيب لزوميات المعري في سلم الزمن او على الاقل ترتيب اللزوميات بعضها قبل بعض : وهنا انكشف لي وراء كل ريب ان آراء المعري قد خضعت ، في اثناء نظمه اللزوميات اي في مدة عشرين عاماً او تزيد ، لتطور وتبدل على مثال ما يحدث لكبار الرجال في تاريخ الفكر الانساني . فالدعوة الى النسل مثلا والدعوة الى قطع دابر البشرية ليس تناقضاً عند المعري اذا علمنا انه في مطلع اشتغاله بنظم اللزوميات كان يعتقد بأن النسل امر ضروري (مع العلم بان اللزومية التي تحث على النسل جاءت على حرف اللام) ، ولكنه لما تقدمت به السن وزاد تشاؤمه بدّل رأيه في النسل (مع انه قال ذلك في لزومية على حرف الهمزة) .

على هذا الاساس كتبت كتاب « حكيم المعرة » كله واطمأننت الى انني زدت في بحوث المعري امراً جديداً اساسياً ثابتاً .

*

ودعت الحكومة السورية كبار الادباء في العالم العربي – او مشاهير الادباء على الاصح – للاحتفال باسبوع المعري ولكنها اعلنت ان ذلك لن يكون في آذار بل في اواخر ايلول ، اي بعد سبعة اشهر من صدور « حكيم المعرة » . وكان في مشاهير الادباء الذين دُعوا الى الكلام في ذلك الاسبوع المشهود الدكتور عبد الوهاب عزام عميد كلية الآداب في جامعة فؤاد الاول في القاهرة . وتكلم كما قيل لي منذ بضعة ايام على ترتيب اللزوميات التاريخي . ولكنني لم اعرف انا ذلك في حينه .

ولكن منذ شهر تقريباً قرأت في مجلة الرسالة المصرية سلسلة مقالات للدكتور عبد الوهاب عزام تدور حول ترتيب اللزوميات [1] فدهشت لان الترتيب الذي يدعيه الدكتور عزام هو الترتيب الذي استخرجته انا. لقد سرد الدكتور عبد الوهاب عزام القرائن الاربع التي ذكرتها انا ورتبها الترتيب الذي رتبته انا وجاء بقصة صالح بن مرداس وبالابيات التي ذكرت في حكيم المعرة واتى بابيات جديدة ايضاً. الا ان هذه الابيات الجديدة لا قيمة لها في البحث العلمي اذ ليس كل بيت ذكرت فيه السن يدل على سن المعري نفسه، لان المعري قد يذكر احياناً «سن الاربعين او الخمسين على سبيل التمثيل لا على ان تلك السن سنه هو». والذي يطالع مقالات الدكتور عبد الوهاب عزام — اذا كان ممن تمرسوا باللزوميات — يدرك ذلك التمحل في البحث والاضطراب في السياق مما لا حاجة بنا الآن الى تفصيله. ولكن المدهش في الامر ان الدكتور عزام لم ينفض القلم من يده حتى قال: «هذا ما بدا لي في تاريخ اللزوميات فمن بدا له ما يؤيد رأيي او ينقضه فليتفضل مشكوراً بالادلاء برأيه والابانة عن حجته». بمثل هذا التحدي ختم الدكتور عبد الوهاب عزام مقاله مع انه قد «سلخ مقاله كله من كتابي حكيم المعرة ابي العلاء المعري»:

١ — ان كتابي سبق مقالاته بعام ونصف عام.

٢ — انه اتبع ترتيبي واخذ القرائن التي اخذتها انا، وسردها على النسق الذي اخترته انا.

٣ — ان الشواهد والامثلة هي شواهدي انا.

٤ — ثم ان العالم الحقيقي يجدر به اذا هجم على موضوع ذي خطر ان يبحث عن الذين طرقوه من قبله وان يستنفد ما قيل فيه اضف الى ذلك ان ناشر كتاب «حكيم المعرة» قد بثه في الاقطار العربية، وان المجلات قد نقدته.

٥ — ولو فرضنا ان في العالم شيئاً اسمه «توارد خواطر» فانه يكون في بيت من الشعر او في فكرة عارضة او في كلمة شاردة. واما «توارد خواطر» في بحث علمي طويل ذي فروع واقسام ومقدمات ونتائج فشيء لا يمكن ان يكون، وخصوصاً اذا علمنا ان رجلا جاء، بعد عام ونصف عام من صدور كتاب وصلت نسخه الى كل مكان وصدر في ابان حركة الاحتفال بمهرجان المعري، وجاء هذا الرجل الى المكان الذي صدر فيه هذا الكتاب ثم كتب مقالاً لا يخرج في تفاصيله الدقيقة عن ذلك البحث الاول. فان من باب العبث ان نسمي ذلك «توارد خواطر».

*

ومع ذلك فقد اردت ان احترم الدكتور عبد الوهاب عزام فكتبت اليه رسالة خاصة في الموضوع. ثم قبلت تحديه «وتفضلت مشكوراً بالادلاء برأيي والابانة عن حجتي» وارسلت مقالاً هادئاً الى مجلة الرسالة التي نشرت له مقاله، مع رسالة خاصة ايضاً الى الاستاذ احمد حسن الزيات صاحب مجلة الرسالة.

اما الدكتور عزام فلم يرد على رسالتي اليه، مع ان السيدة محبوبة حداد لما ارسلت الى المستر تشمبران في مطلع الحرب العالمية الثانية تطلب منه حديثاً للاطفال تذيعه عليهم من محطة راديو الشرق في بيروت، رد عليها المستر تشمبران بالرفض طبعا، ولكنه رد عليها بأدب ايضا.

واما مجلة الرسالة نفسها فليتها فعلت ما فعله الدكتور عبد الوهاب عزام. ان الاستاذ احمد حسن الزيات صاحب مجلة الرسالة تناول مقالي (الذي كتبته بناء على رغبة الدكتور عزام في ان يكتب الناس في هذا الموضوع) بقص الحواشي، فحذف منه اداتي وبراهيني، ثم تولى الدفاع عن الدكتور عزام والتماس العذر له (او هو ترك المجال للدكتور عزام ان يفعل ذلك) مما لا يجوز في عرف الصحافة الكريمة: لقد كان الاليق بالاستاذ الزيات ان يترك الخصمين يحتكمان الى قرائه لا ان يدخل في القضية خصماً ثالثاً. بعدئذ بلغ بالاستاذ احمد حسن الزيات — صاحب كتاب «دفاع عن البلاغة»، البلاغة التي تدعو الى ان يوافق الكلام مقتضى الحال، لقد بلغ به ان يوقع دفاعه عن الدكتور عزام باسمي انا.

*

هذا ما بدا لي ان اقصه على القارىء الكريم، وعسى ان تنتهي القضية عند هذا الحد باعلان الدكتور عزام الحقيقة وانصاف الاستاذ الزيات للخصوم. والا فسيكون لهذه القضية ذيول طريفة.

عمر فروخ

---

(١) راجع الرسالة في اجزائها ٦٢٤ — ٦٢٥ — ٦٢٦ (١٨ حزيران — يونيو — الى ٢ تموز — يوليو — ١٩٤٥).

علـــم النفـــس والدين

لرجينالد وابلد

◆

تفيض كتب السيكولوجيا في الكلام على الاهداف والمطامح والغايات والمثل العليا ، ولكنها لا تفرغ إلا قليلا للنظر الدقيق في اي الاهداف والمطامح احق بالسعي من اجلها ، وفي اي المثل العليا احق بأن تُتبع وتنصب للسائرين ، في طريق الحياة .

والحق اننا عندما نبلغ الى مثل هذه الاسئلة انما نخطو خطوة وراء علم النفس ، تحملنا الى هيكل الفلسفة . ومع ذلك فقد لا يكون من الخير ان نتحاشى الذهاب الى بعيد ، فلا نسأل هذه الاسئلة .

وواضح حتى من زاوية السيكولوجيا ان بعض المُثل خير من بعضها الآخر ، وان بعض الصفات الخلقية احق بأن يتحقق بها الانسان ، من بعضها الآخر . فلأن يحيا المرء بالحب مثلاً خير له من ان يحيا بالبغض ، فالحب يوسع مطارح الشخصية في حين يقلصها البغض ويمسخها . ولأن يحيا المرء بالثقة خير له من ان يعيش بالخوف ، فالخوف يشل جهودنا ، في حين ان الثقة تمكننا من بلوغ الذروة من قوانا الفضلى . ثم انه لمن الخير الخير أن يحيا الانسان بالتعاون من ان يحيا بالعزلة المفروضة على النفس فرضاً ، فالانسان حيوان اجتماعي ، وهو عاجز عن ان يحقق حياته الكاملة بغير ما استمتاع بصلات طيبة ، بالآخرين .

كل ذلك واضح من وجهة النظر السيكولوجية . فانت تستطيع ان تقول باطمئنان ان بعض هذه العواطف ، والمطامح ، والمثل تعود على صاحبها بالربح ، بينا لا تعود الاخرى بشيء من ذلك .

ولكن هناك حالات ليست على هذا الحظ من الوضوح فما الرأي في تضحية النفس ، وانكار الذات ، والاخلاص حتى ولو كلف الاخلاص الحياة ؟ اتكون هذه رابحة ؟ اهي في مصلحة الفرد الذي يتحقق بها ويسترشد بضيائها ؟ ان من الممكن ، بمعنى من المعاني ، ان تجيب بنعم ، حتى في مثل هذه الحالات . فقد تقول ان هذه الشمائل التي تمثلت اكمل تمثل في الاكابر من رجال التاريخ كانت عناصر لا تتجزأ من شخصياتهم الرفيعة .

جرّد صفحات التاريخ من البطولة والتضحية والخدمة المجردة، تحرُم التاريخ ، في الوقت نفسه ، ابناء الجنس البشري العظام الميامين . ليس من شك في هذا . ومع ذلك فان القول بأن الاستشهاد يعود على الشهيد بالربح ، لا يصح في العقل الا بكثير من التوسع في المدلول . فاذا كان هذا السلوك يقود الى السعادة ، فانما يقود الى سعادة مغايرة لما يقصد في العادة من هذه الكلمة .

ولننظر الى المسألة من زاوية اخرى . يتكلم علماء النفس على الحماسة والثقة والتبصر كمفاتيح ذهبية لكيان نفسي اوسع . ولكن هناك حالات تصبح فيها هذه الكلمات اصواتا فارغة ، او تكاد .

ما القول في رجل يقضي في البطالة الاجبارية عدة سنوات ، ثم لا يجد له املاً قوياً في ان يوفق الى عمل ما ؟ صحيح ان العالم ، حتى بالنسبة الى هذا الرجل ، يكون كما يتقبله عقله ويرتضيه . ولكن في دنيا اختياره اشياء لا يستطيع ان يوصد دونها الباب ثم ما القول ايضاً في الوالد الذي يتخطف منه الموت او الحادث ولده ، وقد يكون محل اعتماده ؟ وفي الرجل الذي يرى الى زوجه (او المرأة التي ترى الى زوجها) تموت وئيداً تحت وخزات داء أليم ؟ بل ما الرأي في فريسة ذلك الداء نفسه ؟

هذه الحالات ليست بالقليلة النادرة . ان نظام الاشياء ليحمل الى كل انسان نصيبه من المصيبة والالم . وإنه لسيكولوجي جريء ذلك الذي يستطيع ان يقصد الى المحزونين لينص عليهم ان الحماسة والثقة والتبصر قادرة على ان تسعدهم وتجعل كل شيء حسناً .

بقيت طريقة ثالثة نعرض بها للمسألة . نحن نعرف اهمية مبدأ الحقيقة في التطور العقلي ، وان الرجل (او المرأة) النامي اتم النماء هو ، على الاقل ، ذلك الذي يرغب في ان يواجه الحقيقة ، وان يستجيب للحياة بلغة الحقيقة . ولكن ما هي الحقيقة ؟ ما الذي تستطيع السيكولوجيا ان تقول هنا ؟

الجواب ان السيكولوجيا ، في ذاتها ، لا تستطيع ان تقول في ذلك شيئاً . الفلسفة هي التي تملك الجواب ، دون غيرها . ان ما تعنيه الحقيقة بالنسبة اليك انما تقرره فلسفتك في الحياة ، او بتعبير

آخر ، دينك الذي تقول به وتعمل .

والواقع ان امثال هذه الحقائق هي التي حملت الدكتور كارل يونج ، المحلل النفساني السويسري العظيم ، على القول انه قد تحقق عنده ، بعد تجارب متطاولة ، انه لم يكن ينجح في شفاء مريض من اضطراب سيكولوجي خطير الا بعد نجاحه في اغراء ذلك المريض باصطناع « موقف ديني من الحياة » .

وقد لا نكون هنا ايضاً في نجوة من اللبس والغموض فليس كل الدين قائماً على اساس مبدأ الحقيقة . فهناك اناس كثيرون ليس الدين بالنسبة اليهم الا وسيلة يبتغونها للتهرب من حقائق الحياة القاسية العسيرة ، والكريهة الى النفس .

انهم يفزعون الى ربهم لكي ينعموا بالخفض واللين ، ويضمنوا السلامة والعافية . هؤلاء اناس يجأرون ، اذا ألمت بهم مصيبة ، بمثل هذا السؤال : « ما الذي فعلت حتى يسمح الله بأن يقع لي ما قد وقع ؟ » ومثل هذا الدين قبيح ، من الوجهة السيكولوجية ، وفاسد من حيث هو فلسفة عملية في الحياة .

كذلك لا نعني بالدين مجموعة من المذاهب والتعاليم والطقوس . فقد يؤدي انسان الفرائض المنصوص عليها في مذهب ما كلها ، ثم لا يسلك في حياته الا مسلكاً يتنافى مع الدين كل التنافي . ان الدين اكبر من اي مذهب ، بل اكبر من المذاهب كلها مجتمعات .

ونحن حين نرجع البصر الى معلمي الحياة الروحية الكبار نجد انهم قد اتفقوا على اشياء رئيسية معينة :

١ . انهم مقتنعون بأن هذه الحياة ليست الهينة وان النضال فيها نضال حقيقي .

٢ . انهم مقتنعون بأننا موجودون على هذه الارض لتربي روحاً او نفساً ، وان كل ما نستطيع ان نختبره من خير وشر يمكن ان يسخر لخدمة ذلك الغرض الاسمى .

٣ . انهم مقتنعون بأن الحق والخير والحب ليست اشياء مرغوباً فيها فحسب (وهذا ما تستطيع السيكولوجيا ان تقيم عليه الدليل) بل بأن لها جميعاً مكاناً في نظام للاشياء ازلي . ولسوف يأتي يوم تنتصر فيه .

٤ . انهم مقتنعون بأن كلاً منا ليس هنا لمجرد السعي في سبيل ذاته ، بل ليحب ويخدم اقرانه ، وليساعد على بناء العالم الافضل .

٥ . انهم مقتنعون بأن الحب الاسنى يبسط سلطانه على جوهر الاشياء ! وان كل ما على الارض (لو كنا نرى كل شيء ، ونعرف كل شيء ،) له مكانه ووظيفته ضمن دائرة الغرض الذي يرسمه الحب الأسنى .

فاذا كان ذلك كله حقا عرفنا مكاننا من الوجود . ان الحب والاحسان والشجاعة لا شك تسعف من الناحية السيكولوجية . ولكننا في حاجة الى ان نحس اننا لا نقيم حيواتنا على اساس من الاوهام ، حتى ولو كانت حلوة تأنس بها النفس وتشارك بسهم وافر في اسعادنا في هذه الحياة . ان المخلصين من الناس لا يحبون الخدر ، ولو انه لذيذ المذاق انهم يريدون ان يحسوا ان علم النفس الذي اثبت فائدته وجدواه مرتبط بالذات بحقائق الاشياء التي لا يأتيها الباطل ، منسجم مع حقيقة الحياة والكون .

وهكذا نبلغ هذه النتيجة : انه وراء جميع ما تعلمنا اياه السيكولوجيا العصرية مما يتعلق بالطريق الى الصحة والسعادة واكتمال العيش ، تقدم الحاجة الى فلسفة في الحياة ، الى دين ينسجم مع علم النفس ، ويكون هو نفسه قائدنا الى الحقيقة

وليس احد من الملمين بالتاريخ ينكر ان في مقدور الناس ان يحيوا بشجاعة وخصب على الرغم من ان فلسفتهم قد تكون ذات طابع تشاؤمي مغال ، وعلى الرغم من ان آرائهم الدينية قد تكون سلبية خاصة . بيد اننا اذا نظرنا الى الاعماق رأينا ان مثل هذه الشجاعة لا بد ان تكون قائمة على نوع من اليأس .

ذلك بأن خلائق الكرم والشرف والاحتمال التي يبديها هؤلاء الناس اشياء غريبة في عالم هذا رأيهم فيه .

ان هؤلاء الناس يرون ان ما تقدسه العقول والقلوب الانسانية ليس له قيمة ما في الكون كله ، وانه سينتهي الى هباء ، اذا جاز التعبير ولكن لهذه الاشياء التي نحس في احسن احوالنا انها اسمى وانبل ما في الوجود مكاناً في النظام الازلي للاشياء . اذا نظرنا الى الحياة من زاوية روحية . انها تتصل ، بهذا النوع من النظر ، بصميم الكون .

واذن فليست الحقيقة والجمال والخير والحب مجرد صفات قد نسعى الى التحقق بها ، ثم تموت معنا ، ولكنها الحقائق النهائية والازلية في هذا الكون الذي نجد انفسنا فيه .

وهذا ما حمل الدكتور يونج بعد عمر كامل من البحث والاختبار السيكولوجيين على ان يقول بحاجتنا ، آخر الامر ، الى « نظرة روحية في الحياة » بسبيل تحقيق الصحة العقلية الفضلى ، والانسجام النفساني الاكمل .

الموسيقى الاندلسية في الجزائر

بقلم عمر راسم

☆

الفن الموسيقي هو سلطان الطبيعة المسيطر على الارواح . وقد تفننت الامم في الحانه ونغماته واخترعت منها بحسب اميالها وصبغة تعاليمها وطبيعة بلادها ودرجة رقة شعورها وتقدمها في الحضارة .

وممن نبغ في هذا الفن الجليل امة الاندلس العربية التي بلغت فيه درجة من السمو جعلت ملوك اوربا في ذلك العهد تتنافس في احراز موسيقي او ملحن اندلسي عربي يزين مجالسها ويكون لها فخرا .

ولما قضت الاقدار فتشتتت الامة الاندلسية في بلدان شمال افريقية نشرت تعاليمها الفنية بها لما وجدت فيها من الاوساط المتهيئة بالطبع لقبول تمدن الاندلس الزاهر . فنال كل من المغرب الاقصى والجزائر وتونس اوفر حظ من ذلك وانتشرت الموسيقى الاندلسية فيها جميعاً .

وقد حدث لهذه الموسيقى في وطنها الجديد ما لم يكن منه بد . فوقع مع طول المدة تحريف في نغماتها وتغيير في تراتيبها ونظاماتها المحكمة . وتغلب عليها الدخيل البلدي فامتزجت بطبيعة الحال بما غير طرقها الفنية ولا سيما في المغرب الاقصى وتونس اذ تطورت في هذين القطرين طبق طباع اهلها كما وقع في عهدنا الحاضر تحريف وتغيير في الالحان والنغمات العربية والعراقية في مصر بامتزاجها بالالحان البدوية ثم . . بالاوروبية او الاميركية . اما بلاد الجزائر فانها بطبيعة حالها وتقليد اهلها للفن تقليداً دينياً لم تحرف ولم تغير حرفاً ولا صوتاً مما ورثته عن المهاجرين الاندلسيين بل نقلت عنهم الحانهم ونغماتهم واناشيدهم نقلًا مثبتاً كما روت اسانيد الحديث الشريف . وقد كانت الجزائر في ابان شبابها وايام سطوتها ورفاهيتها غرناطة افريقيا الشمالية . وليس من المبالغة ان نقول ان ما بقي الى الآن بها من آثار تلك الالحان والاناشيد والموشحات هو على قلته صورة صادقة بدون شك مما كانت تتغنى به غرناطة واشبيلية ومالقة وطليطلة وغيرها . وذلك من سبيل رواية التواتر الصحيح وشاهد على ذلك اني سمعت في غضون ما يزيد على خمسين سنة ومن اجيال متتابعة عدة « اشغال » اندلسية لم اقف فيما سمعت منها على فرق واحد ولو في مد او قصر بين من عرفت من معلم ومتعلم . ومن اخطأ في نداء او زاد نصف نقطة في غير محلها عد ذلك عليه نقصاً يسفه به عند اهل الفن .

ذلك ان الموسيقى الاندلسية مبنية على قواعد العلم في مناسبة اصواتها وارتباط بعضها ببعض وقد جعلت فيها الاصوات المطلقة والممتزجة مركبة من « نوبات » مرتبة على قواعد الانشاء : استهلال ثم مقصود ثم خاتمة . والنوبة تبتدىء بـ « التوشية » ضرباً من دون غناء و « الكريسي » مثلها . وهما مفتاحا « الآلة » ويكونان على نقر الوتر . ثم يجهر « بالمصدر » ثقيلا ويليه « البطايحي » اثقل منه في الغالب

ويليها « الدرج » وهو اخف منها ثم يأتي « الانصراف » خفيفاً ثم « الخلاص » اخف . وقد يزيدون على ذلك « الانقلابات » وواحدها الانقلاب وهو يتبع دائماً « الصياح » او « الاستخبار » المناسب لصناعة النوبة . فان كانت نوبة « الزيدان » يصيحون زيدانا وان كانت نوبة السيكة يصيحون او يستخبرون سيكة وهلم جرا .

ولكل صناعة نوبة او نوبات . ويقال ان الشيخ « المنمش » كان يعرف في الصنعة الواحدة عشرات من النوبات بأصواتها . ولا غرابة في ذلك فاني رأيت بعيني ديواناً بخط العالم الجليل الشيخ عبد الرحمن الامين فاذا فيه ٢٤ صناعة او لحناً ولكل صناعة نوبات كثيرة منها ما تزيد « مصدراتها » على العشرين . وقد كان الشيخ عبد الرحمن يتقن الفن ويحسن تلك النوبات كلها وبذلك كان في عصره رئيس « القصادين » وهي وظيفة تشريفية كان يقلدها من يتقن الفن الموسيقي الاندلسي ويتولى بها ادارة جماعة من « القصادين » الفنانين الذين يتغنون بالاناشيد في مدح خير البرية ايام المولد النبوي الشريف في المساجد والاضرحة والزوايا .

على ان الذي يؤسف له كل الاسف ان هذا الديوان الذي ذكرته قد ضاع . . . ولم يبقَ لنا في هذا الباب الا الانموذج الناقص الفاسد الذي طبعه الاسرائيلي « يافيل » عن غواية وقلة دراية هذا وقد اكسبته جرأته على الفن وطبعه لذلك الديوان المملوء بمحرفات الموشحات والاناشيد العربية الاسلامية واكسب ذلك ورثته بعده حقاً « شرعياً » صرنا بمقتضاه لا نترنم بأناشيدنا واصواتنا الا اذا استأذنا في ذلك « يافيل » وادينا له بواسطة جمعية حقوق التأليف « حقا » مفروضا . وعلى ان هذه الاصوات والالحان لآبائنا واجدادنا فقد اصبحت الموسيقى الاندلسية العربية بهذه الصورة ملكاً ليافيل وورثته . ومهما يكن من امر فانه لم يبقَ الآن من تلك الـ ٢٤ نوبة التي ذكرها ديوان الشيخ عبد الرحمن الامين الا ما لا يزيد على النصف بعضه كامل النظام على ضياع كثير من الموشحات وبعضه ناقص العدة والعدد كنوبة « العراق » « والموال » مثلا لكن هذا القليل الذي بقي لدينا اصح مما بقي عند اخواننا المغاربة والتونسيين وكذلك التلمسانيين لان في نطقهم رقة تضعف قيمة اللحن الفنية ولانهم ايضاً اخترعوا زيادة على الاصل انغاساً غير موافقة في الغالب لميزان الصنعة ونسبة الاصوات .

وقد اهتمت الجزائر – كما قلنا – بالمحافظة على الموسيقى الاندلسية كما يهتم اهل الحديث بصحة الرواية . فكان ثقات الامة واتقياؤها واعيانها وادباؤها يتنافسون في حفظها في الصدور واتقانها . واشدهم اهتماماً بها العلماء والشعراء الذين كثيراً ما تنافسوا في انشاء « المولديات » وقياسها على نظام الانغام الاندلسية .

ويكفينا دليلاً على ذلك ان الذي ادخل الالحان الموسيقية ثقيلها وخفيفها حسب القواعد الموسيقية العلمية في الاناشيد والموشحات الجديدة التي تنشد في الزوايا والاضرحة الجزائرية هو الشاعر والعالم الكبير سيدي احمد بن عمار مفتي السادة المالكية في اوائل القرن الماضي . وكان يشاركه في احتفالات الانشاد الائمة والفقهاء . وقد سار الكثير منهم بعده على منواله مثل السيد احمد ابن قبطان . وآخر فنان من بقايا السلف العالمين بقواعد الفن هو الشيخ محمد سفينجة المتوفي سنة ١٩٠٨ وهو تلميذ الشيخ محمد المنمش . وكان رحمه الله حسن الصوت وهذا مما يقل وجوده عند الفنانين في الجزائر .

وبهذه المناسبة اذكر حديثاً جرى في هذا الشأن عند زيارة الاستاذ الامام الشيخ محمد عبده رحمه الله للجزائر وقد اقام له احد اعيان العاصمة دعوة حضرها فنان ذلك العهد الشيخ سفينجة . فاراد احد الحاضرين – الشيخ محمد الكمال بن الخوجة – ان يعتذر للامام عن لحن المغني وتحريفه للعربية فاجاب الاستاذ بأن جميع المغنين يلحنون وزاد انه يستحسن نظام موسيقى الجزائر واثنى على الشيخ سفينجة وقال ان غناء الجزائر يشابه غناء الاتراك وانها عنده احسن بكثير من الغناء المصري(!) زد على ما قلنا انه كان يوجد ايضاً مغنيات محترفات يتقن الموسيقى الاندلسية الصحيحة . وخاتمتهن المعلمة امينة بنت الحاج المهدي رحمها الله . على انه لا يزال هناك من بنات العائلات الكبرى من يضربن بالقيثارة والرباب والقانون الخ . .

ومن يرى هذا الماضي الزاهر الذي كان يضاهي في ابهته وحسنه الفني عهد اسحاق النديم وابراهيم بن المهدي ويرى الحالة الحاضرة وضياع تلك الآثار الجليلة واستبدالها بتقاليد المنحطين خلقاً وخلقاً للاغاني الاجنبية ونغمات النواح المصرية – فما احقه بأن يأخذ منه الاسف الشديد على ما صرنا اليه . وما احقه بأن يمقت اشد المقت هؤلاء المفتخرين بالخطاطهم الفرحين بغرورهم .

الجزائر عمر راسم

وراء الضباب!..

اليها بين « الهرم » و« النيل » !..

قفي هنا ... ما وراء الضباب غدير يغني وبحر غريق
يرودان قرب السماء الوصال كأن الوصال اضل الطريقْ
ففي الانجم الزرق دمع الروْى – على حلك الليل – طي البريق
وتصغي النياسم ... ما للغصون تعرت .. اجاء الخريف العميق؟.
وما للطيور اكبت على مآتم رجع اتيّ عتيق
اباكرها من حديث الغمام ندي على البرعم المستفيق
قفي هنا ... ليلتي هذه احتضار الضباء بوادي العقيق!..

*

قفي .. وطء خطوك للذكريات وللعمر في المهمه المقبل
ارق من اللحن ايقاعه ومن رفلة الضاحك الجدول
وراء الضباب له موعد وملء الضلوع صدى المأمل
بواكير من عرية للربيع ومن حبنا الضائع الاول
وراء الضباب بعينيك شيء من الكأس مضطرب المنهل
اغرق فيه دواجي الظنون واعدو الى بوحه المنزل
قفي ... فالسراب ازاح الستار عن السر ... والليل لم ينجل

*

قفي ... عند شط تود الرمال له فجوة الشمس قبل المغيب
ففي وجنتيك اصفرار الهوى رماد بقايا ابتهال رهيب
ولا تسائلي : من تراني له ؟ .. حبيب على ضمة من حبيب
نذرتك اغلى افتراضاً على لقاء ... وكان المحال الرقيب
وراء الضباب لنا موعد وخمر واغنية من غريب
ورؤيا تطل ... ودنيا تهل وقلبان نهب البعيد القريب
قفي ... ان بي منك بعض الذي ترنح في خطرات اللهيب ...

*

قفي ... ما وراء الرمال الحداء وواحة حب وظل وماء
خيام على عصفة حرة رغاب على نزوة للهباء
خباء يواري عروقاً تضج من الشوق في نار حاء وباء
هوادج مسحورة في الصباح عرائس ربا بحضن المساء
وعذراء شاخصة المقلتين الى فوق ... في شهوة وارتقاء
براها انتظار رجوع الحبيب ... عروق تعربد فيها الدماء ...
قفي ... غدها للبكاء الطويل ... ففي غدها مصرع للرواء

*

قفي ... عودة للضباب المدل على حلكة ... عودة والتفات
سنمضي معاً في الدروب العطاش ونسري معاً في خيال الحداة
وتنقل عنا الطيور الغناء وتحملنا للذرى الامنيات
ونبقي شذى التوق اندى منىً واهنا مراحاً واجنى حياة
وما ضرنا موعد في الضباب وموعدنا مرقب للصلاة
على مهلك اليوم ... ان الزمان اقلك في زورق الذكريات ...
بعيداً ... وراء الضباب الربيع وبعث على الارض للكائنات!..

لصلاح الاسير

التعاون الاقتصادي في العالم العربي

بقلم محمد جميل بيهم

٥



سبيل ادراك الوحدة العربية هدف العرب القومي يتوخى العرب التعاون تحت لواء الجامعة العربية ولاسيما في ناحيتين : الناحية الثقافية قصد تكوين رأي عام واحد ، والناحية الاقتصادية بغية حماية ثرواتهم واستزادتها ، وهم في الناحية الثانية لا يعملون في سبيل المستقبل فحسب ، بل يؤملون الخير العاجل منها في حاضرهم ايضاً .

١ – الماضي مصباح المستقبل

في العهد التركي ، لم تكن للسلطنة سياسة اقتصادية مستقرة ، وانما كانت الدولة تعنى بشؤونها يوماً فيوماً دون برنامج عام ، الا ان المزاحمة الاقتصادية لم تكن حتى القرن التاسع عشر مستفحلة الشأن بقدر ما هي عليه في هذا العصر ، بل لقد كانت شروط الحياة في تلك الايام ، وخصوصاً في الشرق العربي ، تساعد على تأمين زيادة في صادراته عن مجموع الواردات اليه من الخارج .

وقد زار سورية اواخر ذلك القرن السيد ج شارم، ونشر اثر عودته لفرنسا كتاباً اسماه « سياحة في سورية » يستفاد منه ان قيمة الصادرات حتى مطلع القرن العشرين من بلاد الشام كانت تربو على الواردات اليها من السلع . فقد جاء في ذلك الكتاب « ان صادرات سورية بلغت قيمتها سنة ١٧٨٤ اربعة وسبعين مليون فرنك ونصف المليون بينما بلغت الواردات اليها من البضائع الاجنبية نحو سبعين مليوناً من الفرنكات اي بنقص اربعة ملايين . »

وقد كان بالامكان ان تبلغ الزيادة في الصادرات السورية مدى اوسع لو كانت لتركيا سياسة اقتصادية مستقلة ومتبعة .

والواقع ان الامتيازات الاجنبية كانت ترفع الاجنبي عن مستوى القانون ، تاركة الضرائب والمكوس على كواهل اهل البلاد وحدهم والدولة كما انها لم تكن تستطيع ان تحمي منتوجات بلادها اسوة بغيرها، ولا ان تزيد الرسوم الجمركية الا بموافقة الدول فانها لم تكن حرة في منع السلع الاجنبية من دخول السلطنة .

ومن جراء ذلك اختل التوازن التجاري في الشرق العربي اختلالاً كبيراً الى حد ان تجارنا كانوا ، حسبما جاء في كتاب « الشام على عهد محمد علي » يؤدون الى الافرنج ثلاثة ونصفاً في المئة على سبيل العمولة او اربعة ليتجروا باسمائهم تهرباً من تطبيق الانظمة المقتصرة على الوطنيين وحدهم . »

ومع هذا فكانت حالة الناس الاجتماعية في يسر على وجه عام ذلك لان الانكباب على العمل دون ترفع : الفلاح في قريته وابن المدينة في مدينته ، مع التزامهم جميعاً سنة الاقتصاد كل ذلك ادى الى فيض في بدلات اثمان الصادرات في اكثر البلاد العربية عن قيمة السلع الواردة اليها .

ومن المؤسف ان هذه الحالة لم تدم طويلاً فقد انتشر التمدن الحديث في هذا الشرق ، كأن التمدن ، على ما فيه من الخيرات ، قد جاءنا ليعد اسواق بلادنا مصرفاً للسلع الاجنبية لتغمرها غمراً . والواقع ان التبعة انما تقع على الدولة الحاكمة ، او على الظروف السياسية التي كانت تقيدها وتحول بينها وبين حماية اسواق مملكتها .

وظل التباين بين الصادر والوارد في الشرق العربي يتفاقم عاماً بعد عام ، ويسجل نقصاً جديداً في الصادر بقدر انتشار الحضارة الحديثة . بدأ ذلك منذ غرة القرن العشرين . وقد جاء في كتاب

لا سيري لمؤلفه بالافرنسية السيد جاك ثابت ان قيمة واردات سورية من البضائع الاجنبية عام ١٩٠٩ بلغت ماية وثلاثة وتسعين مليون و ٧٥٠ الف فرنك ثم اخذ الفرق بين الوارد والصادر يزداد سنة فسنة خصوصاً عهد الانتداب الافرنسي حتى اصبحت البلاد قاب قوسين او ادنى من الافلاس .

ومرد ذلك الى ترفع المتعلمين عن الصنائع المجدية وعن الزراعة المثمرة في سبيل حياة ارفع في المدن او في المهاجر بالاضافة الى فوضى في السياسة الاقتصادية في عهد تركيا والى استغلال هذه السياسة واستثمارها في عهد الانتداب .

٢ – الواجب في عهد الاستقلال

اما الآن في عهد الاستقلال، وفي عهد الجامعة العربية، وقد حملنا التبعات، فقد اصبحنا مسؤولين عن هذا الخلل في السياسة الاقتصادية، ومن الواجب ان تعالجه الدول العربية على ضوء الماضي كل واحدة منها على انفراد، وان تعالجه ايضاً متحدة مع سائر هذه الدول الشقيقة لتكون لنا سياسة اقتصادية عربية لعالم ما بعد الحرب على غرار ما تضع الامم من سياسة عالمية اقتصادية .

ويخيل الينا ان موضوع التعاون الاقتصادي بين الشعوب العربية ينقسم في خطوطه الكبرى الى ناحيتين: الناحية الخارجية والناحية الداخلية . ونعني بالناحية الخارجية تحديد موقف البلاد العربية تجاه الدول الاجنبية في سياستها الاقتصادية العامة بعد الحرب، ونعني بالناحية الداخلية وضع سياسة عامة تفضي الى تبادل المنافع بين الامصار العربية والتعاون في سبيل النهوض بها .

٣ – التعاون العربي في الناحية الخارجية

قلنا في مقال سابق ان الدول تعمل منذ الآن على تنظيم العالم بعد الحرب، وتضع اسساً للتبادل التجاري على قاعدة ترابط اجزاء الكون وتفاهم امه . ومع انه يخامرنا الشك في امكان نجاح نظام كهذا شامل فاننا نستطيع الاعتراف بان وضع البلاد العربية الاقتصادي لا يتفق كل الاتفاق مع وضع سواها، خصوصاً وان للبلاد المصدرة مصالح لا تتلاءم في صعيد واحد مع مصالح الامصار المستوردة .

والى ذلك فان مؤتمر سان فرنسيسكو اعرب لنا جلياً بأن حسن النية الذي تطفح به قلوب الدول الكبرى ليس بوسعه ان يكبح جماح العواطف، وليس بامكانه ان يغمر المصالح . فكان على البلاد العربية ازاء كل هذا ان تعير اهتمامها لدرس النواحي التي تصلح لها في التنظيم العالمي الاقتصادي، والتي لا تصلح وتضع على ضوء هذا الدرس برنامجاً عاماً اقتصادياً يتلاءم مع شروط حياتها الاقتصادية حتى اذا استقبلت هذا التنظيم العالمي المنشود متكتلة كان لها رأي فيه فتقول بصوت واحد « نعم » حينما يجب ان توافق، وتقول متحدة : « لا » حينما يتحتم عليها ان تعارض، ثم هي بهذا التكتل تخرج عن كونها مناطق نفوذ لهذه الدولة او تلك

على ان لهذا التعاون الاقتصادي فوائد اخرى كثيرة في الناحية الخارجية ؛ ومنها ان الدول العربية المتكتلة تتمكن بفعل القوة الانتاجية التي سوف تتمتع بها من ان تدرك في التعامل مع دولة اخرى شروطاً لا يتأتى لكل واحدة منها بلوغها على انفراد، ومنها ان هذا التعاون يؤدي الى تخفيض نسبة الحاجة الى المصنوعات الاجنبية والمنتوجات التي تحتاجها كل واحدة من هذه الدول العربية فتستعيض عنها بالانتاج الوطني في بلادها او بلاد شقيقاتها زراعياً كان او صناعياً . وبذلك يستقل الشرق العربي استقلالاً حقيقياً باستقلاله الاقتصادي .

وفيما لا بد من استيراده من البلاد الخارجية تتفق البلاد العربية المتكتلة على التبضع من الامصار التي تقدم لها احسن الشروط وخصوصاً من حيث مقايضتها على منتوجاتنا .

على ان التعاون العربي اقتصادياً في الناحية الخارجية يتعدى الحصر ولا يمكن تحديده في مثل هذا المقال، وهو يشمل الدعاية في البلاد الخارجية للمحاصيل والمنتوجات العربية، كما يدخل ضمن نطاقه الاتفاق على اعداد المواد المجهزة للتصدير اعداداً مستوفي الشروط من حيث المظهر والمادة .

٤ – التعاون العربي في الناحية الداخلية

تكاد تكون مجموعة البلاد العربية عالماً كاملاً في الناحية الاقتصادية . فيها ما تفتقر اليه شعوبها من ثروات زراعية ومعدنية وزيتية، وفيها استعدادات طبيعية ومواهب لسد الفراغ فيما تحتاج اليه من الصناعات . ولكن الحواجز الجمركية بين الدول ما زالت تضيق الخناق على تلك الصناعات .

وفي الواقع فكما امكن لثمان واربعين ولاية في العالم الجديد ان تصبح كتلة اقتصادية واحدة مع العلم بأن لكل ولاية منها مصالح خاصة قد تختلف عن غيرها فمن حق العرب ان يؤملوا ادراك هذه البغية التي ادركتها الولايات المتحدة وان يستثمروا هذا الاتحاد .

ونحن لا نحتاج لبرهان على فوائد هذا التعاون ومن ذا الذي لا يذكر عصر بيروت الذهبي وسائر بلاد الشام حينما كان يأتي ابن

الاناضول وسائر رعايا السلطنة العثمانية الى بيروت حينما كانت ضمن نطاق تلك السلطنة فينزع كمره عـن خصره ويكفت الذهب كفتاً بين ايدي عملائه كما يبتاع ما تحتاجه بلاده من السلع ؟

نعم ان رفع الحواجز الجمركية بين الامصار العربية يعقبه بادي ذي بدء اضطراب في التوازن الاقتصادي ولكنه اضطراب شبيه بخفق الماء في الكأس حين صبه ثم يستقر . وهكذا لا تمضي الا سنون قليلة حتى نرى الاستقرار بعدها مستتباً والمنـافع دانية القطوف .

وحسب المنتوجات بالاتحاد ان تجد امامها في البـلاد العربية مجالاً رحباً للنفاد ، وحسب المنتجين ان يكون الرواج حافزاً للنشاط ، وحسب المستهلكين ان يبتاعوا بقيم رخيصة بضائع وطنية معفاة من الرسوم الجمركية ، وكفى البلاد العربية بمجموعها انها ستنقلب بهذا التعاون من امصار كانت مناطق نفوذ لهذه الدولة او تلك واسواقاً لها كلها الى كتلة ذات وزن حرة في تشريعها الجمركي حرة في التصرف سواء في التصدير والاستيراد .

على ان للتعاون الاقتصادي في الناحية الداخلية فوائد اخرى من حيث التنظيم والاصلاح : خصوصاً وان البلاد العربية لا تزال في المرحلة الاولى من مراحل التطور ، وهي اذ تتحفز للوثوب بعد ان خلعت عن كواهلها نير الاستعباد تتطلع الى الوسائل التي تقوم هيكلها المعوج من جراء الانحناء الطويل ، وترنو الى الاسباب التي تؤهلها لاستثمار خيراتها الطبيعية . وهي في ذلك تحتاج الى العناية بوسائل النقل وتخفيض اجورها ، والى انشاء الشركات التعاونية ، لان الاعمال الفردية في هذا العصر اصبحت على شفا جرف هار اذا لم تتداركها هذه الشركات بالقروض والمساعدة . وتحتاج الى انشاء المصارف الوطنية العامة ، ولاسيما ما كان منها لتعزيز الزراعة والصناعة واصلاح نظم ما هو موجود منها وتوفير وسائل حفظ المحاصيل

هذا فضلاً عن الحاجة الماسة للاتفاق على اختيار اصناف المواد والعمل على زيادة الانتاج في سبيل تخفيض الاسعار وتوفير الكسب وفضلاً عن لزوم الاتفاق على تنظيم الحماية حماية المحـاصيل العربية والمصنوعات من المزاحمة الاجنبية .

وقد خطت مصر في هذا الاصلاح الاقتصادي خطوات بطيئة ولكنها مباركة ، وكم من المفيد ان يشاطر العالم العربي المصري في خبرته ورأسماله والشامي في ذكائه ونشاطه ، والعراقي في اندفاعه وجرأته ؟

٥ – كيف نحقق مبدأ التعاون ؟

تبدو عند كل بداية مصاعب لا حل لها ، ولكنها لا تلبث ان تتذلل تدريجياً منذ نحاول بالعمل ادراك الحلول . والمصاعب التي تبدو لنا في تحقيق التعاون العربي سرعان ما تخف حدتها ثم تتلاشى منذ نخرج الى حيز العمل في تنفيذ مشروع التعاون .

ويبدو لنا من المفيد ان نتخذ مركز التموين في الشرق الاوسط القائم في القاهرة مثالاً يحتذى في صعيد التعاون العربي اقتصادياً .

فان هذه المؤسسة التي ما فتئت طيلة الحرب تدرس الشؤون الاقتصادية في الشرق الاوسط وتعالجهـا احسن معالجة ، وتعقد المؤتمرات التي تشترك فيها بلدان هـذا الشرق جديرة في الواقع ان تكون قدوتنا في الخطوة الاولى ، واذا ما باشرنا العمل ووجدنا الفضاء ارحب توخينا ادراك ما ادركته الولايات المتحدة من التعاون الواسع في الحياة الاقتصادية .

محمد جميل بيهم

الصداقة عنــــد العرب

بقلم عبد اللطيف شرارة

☆

ان المرء ليعجب حين يفكر في عشاق العرب القدماء، ذاك ان لهم من الاحاديث والشجون ما لا يطيق الخيال إبداع امثاله ، ولا تقوى الحقيقة ، حقيقة الناس على بلوغه ؛ ولو كان امرهم يقف عند التعجب والاعجاب لما امتاز ولا تفوق ، ولكن « العشق » العربي ينطوى على ضروب من الميزات النفسية ، والخصائص الخُلُقية جعلت ناس هذا العصر في ريب من صحته . فخرجوا من درسه وهم له منكرون . ثم أبوا ان يقروا التاريخ على رواته ، والشعر على قائليه ، تبريراً لما انكروا من علو النفوس ، وتحصيناً لما انشأوا من موبقات الاهواء والنزعات ، كأن المزايا السامية ، وقد فرغوا منها وفرغت منهم ، لا تكمن بعد في مكان ما ، ولا يتحلى بها رجل ما ! . . واذا لوحت من وراء العصور بوجودها ، وناشدت حقها في الخلود ، مشوا الى التاريخ يراوغونه عن حقائقه ، ويقولون له : « انت لست اياك » ! ، ومذ يستوي على يديهم خلقاً جديداً يضارع نفوسهم ، ويظاهر ميولهم قالوا لنا : « هكذا كان ! » وكأن اولئك المنكوبين من العشاق الذين اوذوا وعذبوا ، وتحملوا الاذى والعذاب واجدين العزاء بما كانوا يبثون الاجيال في اشعارهم — نكبوا ايضاً من جديد بهذا العقوق من تلامذتهم ونقادهم ، فكانت مصيبتهم بالاجيـال التي بثوها لواعج غرامهم امر وادهى من مصيبتهم بالوشـاة والرقباء والعذال الذين كانوا غصة سعادتهم .

إلا ان الواقع . . واقع ، فما كان للباطل ان يجوز حدود بطله ويلج حرم الحق ، ولا كان لزير دعر جف ماء وجهه ان يحتل اريكة جلس عليها قيس ليلى او عروة عفراء . .

والواقع الذي كانت تحياه النفوس . بـل القلوب العربية ، وعنه فاضت الآداب ، وعليه قامت الامجاد ، هو هـذه الالوان الصارخة من الحياة العاطفية الخالصة من كل شائبة ، الطامحة الى سماء العزة ، الحافلة بكل ما يضيء ويشوق ويمتع .

ولم تكن الصداقة في حياة تلك الافئدة اقل نصيباً من الحب ، بل ربما كان للصداقة المقام الاسمى ، وكان الحب ذاته مظهراً من مظاهر هذه الصداقة المونقة ، كما يستفاد من خطاب ابن الطثرية لحبيبته :

فيا خلة النفس التي ليس دونها ... لنا من اخلاء الصفاء خليل
اما من مقام اشتكي غربة النوى ... وخوف العدى فيه اليك سبيل
فديتك أعدائي كثير وشقتي ... بعيد ، واشياعي اليك قليل

فان هذا الحديث الذي يطالع به الشاعر حبيبته ليس من النوع الذي تطارح به النساء الا ان تكون الصلة بين ذات صبغة ابهج من البث ، وارقى من المغازلة ، وأعذب من المناغـاة الوجدانية ، واعمق من الحوار العادي ، اي صلة صداقة بتعبير آخر .

وهنا نواجه عقدة البحث وهي : هل كان العرب يفرقون بين الحب والصداقة ، ام خلطوا بينهما كغيرهم من الامم ؟

. — ولا يصح حل هذه العقدة ، ولا تتضح خطوطها ، ما لم نرجع الى تاريخ الصداقة عند الامم العربية بحكمتها وفنونهـا وحضارتها . .

— ١ —

اما في الصين فلم يكن البحث عن مصادر الكون وغـايته ليشغلهم عن صلة الانسان بالانسان ولم تثر اهتمام المفكرين منهم القوى الخارقة للطبيعة ، بمقدار ما أثارته الشؤون الاجتماعية ؛ وقد يكون اعظم اكتشاف اكتشفوه في هذا الحقل ، هو تلك الفكرة التي اتخذها كونفوشيوس قاعدة فلسفته الاخلاقية ، وبنى عليها آراءه في ادب النفس وهي ما يسمونه بلسانهم « جين » . والجين

الصيني تعبير عن الالفة القلبية التي يشعر بها انسان نحو انسان ، او هي اللطف ، او حسن المخالطة ، او الحدب على الغير ، او الفضيلة الاجتماعية ، او الحب ، او المحبة كما نقلها الفرنج الى لغاتهم بكثير من الالفاظ المترادفة . وقد اوضحها كونفوشيوس بقوله : « ان تكون قادراً على استخلاص القاعدة في معاملة الغير من حيـاتك النفسية الخاصة ، ذاك هو الجين » . ولقد كانت هذه الكلمة ترد في الاسفار الصينية مضافة الى نعت ما ينعت به البديع من الاعمال، والمتفوق من الرجال ، ولكن جاء كونفوشيوس فوضع فيها بعض العمق والسعة ، واصبحت ذات اتجاه عملي ، لا عـاطفي ، تشمل العلاقات الانسانية الخمس وهي: بين الولد ووالده ، والاخ واخيه، والزوج وزوجه ، والامير ورعيته ، والصديق وصديقه . ولما سأل تسو – شانغ كونفوشيوس عن معنى الجين اجابه : « الجين خمس خصال عملية وهي: الاحترام، والانفة ، والصدق، والعزيمة واللطف، فبالاحترام تتجنب الشتائم ، وبالانفة تكسب المجموع ، وبالصدق تحصل على ثقة الناس ، وبالعزيمة يتم لك النجاح ، وباللطف تكون قادراً على قيادة الآخرين » .

والجين عند ابناء الصين مثل أعلى مطلق يستحق ان تضحي من اجله بالحياة ، شأنه في ذلك شأن الحرية او الكرامة عند العرب ، وكثيرون من الصينيين الذين ذهبوا شهداء الجين، كشهداء الاخلاص او الوفاء في تاريخنا[١] .

فأنت ترى ان الصداقة الصينية لا تنفصل في كثير ولا قليل عن الحب حتى انها لتمتزج به ويمتزج بهـا في حيز روحي واسع ينتظم الفضائل الاجتماعية كلها ، وتتيه في صحرائه معـالم الحرية الفردية .

ولم يكن مفهوم الصداقة في اليونان القديمة ليختلف ابداً في شيء عن مفهومها في الصين ، حتى ان الكلمة اليونانية التي تفيد الصداقة تنطوي ضمناً – كالكلمة الصينية – على معنى الحب،وهذا من عجائب المصادفات في التاريخ الفكري . ولقد افرد ارسطو سفراً خاصاً للصداقة في « اخلاقه » الى نيقوماخوس فعرفها كمايلي : « الصداقة هي الرابطة التي تقرب الكائنات الحية بعضها من بعض، وعليها تستقر الهيئة الاجتماعية » ، ثم لم يأل جهداً في تقرير سمتهـا الاخلاقية ، وتدعيم هذه السمة بحيث لم يستطع ان يجد فيها شيئاً آخر غير الفضيلة، بل انها هي في حد ذاتها فضيلة ضرورية من انبل الفضائل واجملها ان لم تكن انبلها واجملها اطلاقاً ، وبعد ان انتهى من ايراد اسبابها وعواملها انتقل الى تقسيم الصداقات ، فاذا هي ، في نظره ، ثلاث : صداقة عاطفة ، وصداقة زينة ، وصداقة منفعة، واوغل من بعد ذلك في درس العلاقات الاجتماعية من الاسرة ، الى الحكومة ، الى الجنس على ضوء ذلك التقسيم ، فتجد في النهاية من العسير ان تميز الصداقة عن غيرها من منازع الحياة العاطفية ولا يختلف افلاطون عن ارسطو ، في هذا الموضوع الا قليلا ، وما دام عصرهما واحداً ، ولغتهما واحدة فلن تتغير المفهومات ، وان تباينت التفاصيل .

– ٢ –

وينقلب مفهوم هذه الصداقة عند العرب ، فـاذا هي شيء جديد ، او كنز من كنوز الحياة الشعرية الغنية بالعواطف والاخيلة والالحان والاحلام ، وجدتها عندهم ، انهم لم يواجهوها من زاوية فلسفية ، ولا راحوا يقيمون حولها الحدود ، ويحيطونها بسياج من النظريات والتعاريف ، فاحتفظت بطابعهـا الاصيل ، وظلت كما هي : شعوراً ذاتياً فردياً ، يخالج المرء ، فلا يلبث ان يعبر عنه تعبيراً عملياً بما يتيسر له من اساليب التعبير العملي ووسـائله ، لذلك ، يصعب تخطيط صورتها الفكرية، لانها لم تتمثل فنياً بمقدار ما كانت تتمثل كيانياً ، ولا ظهرت في عالم الادب على حقيقتها التي كانت تظهر بها في حياتهم الاجتماعية، وفي مطارحاتهم وأسمارهم وانديتهم التي لم يرشح لنا من فيضها الدافق غير قطرات تذكرنا بهـا ، ولا تخبرنا عما جرى فيها .

وكان من الطبيعي ان تنمو الصداقات ، ويورف ظلها، وتؤتي ثمرها يانعاً شهياً في اسواق الجاهلية ، وغيـاض الشام ، ونوادي بغداد ، وعلى ضفاف النيل ، وفي مقـاصير تونس والقيروان لان العربي اريحي بطبيعته ، لا يملك نفسه ان يستجيب لدواعي الالفة ان شام بارق الجمال في من يحتك به او يجاوره انى ظهر هذا الجمال وكيفما تمثل .

وانك لتجد اكثر الشعراء الحماسيين والغزليين في فجر الجاهلية يبدأون قصائدهم بمخاطبة خليليهم (بصيغة المثنى) ، كأن خليلاً واحداً لا يكفي ، ثم يعرض كل منهم عليهما تبـاريح وجده ودفائن صدره ، وفيض خاطره ، كما تجد في قول ورد الجعدي :

خليليّ عوجا بـارك الله فيكما ... وان لم تكن هند لارضكما قصدا

(١) نقلاً عن كتاب « الصينيون » تأليف الكاتبة الانكليزية « وينفرد غالبريث » الصادر سنة ١٩٤٠ .

وقولا لها ليس الضلال أجارنا ولكننا جرنا لنلقاكم عمدا

وفي قول هذا العاشق الذائب رقة :

خليلي الا تبكيا لي استعن خليلا اذا أفنيت دمعي بكي ليا

وليس هؤلاء الخلان الذين يخاطبهم الشعراء اختراعاً خيالياً ، كما هي الحال في آلهات الشعر والحكمة والخمرة عند اليونان والرومان ، وانما هم اشخاص من لحم ودم كانوا يعيشون معهم ، وتربطهم بهم اوثق الروابط ، واحبها الى القلوب ، وهي الصداقة .

واذا رحت تستنطق ما بقي لدينا من آثار وقعت في وصاياهم واسفارهم وامثالهم على حكم بالغة في اختيار الصديق والمحافظة عليه والاستكثار منه والتضحية في سبيله ، تتضاءل امامها فلسفة غيرهم في هذا الموضوع ، كقول ذاك الاسدي :

اذا شئت ان تدعى كريماً مكرماً اديباً ظريفاً عاقلا ماجداً حرا :
اذا ما بدت من صاحب لك زلة فكن انت محتالاً لزلته عذرا

او كقول يزيد الثقفي لابنه وهو يعظه :

دم للخليل بوده ما خير ود لا يدوم
واعرف لجارك حقه والحق يعرفه الكريم

— ٣ —

.. ولم تكن هذه الحكم والوصايا ، التي تنضح بها الروح العربية ، وتنشأ من طبيعة العروبة نفسها ، لتذهب عبثاً ، فقد عرف العالم العربي ، في القرون السالفة صداقات كانت من أخصب وامتع ما حفظ التاريخ كصداقة امرىء القيس والسموأل ، وصداقة عبد الحميد الكاتب وابن المقفع ، وصداقة الشريف الرضي وابي اسحاق الصابي ؛ ولا مندوحة عن ذكر تلك الحلقة من الاصدقاء اللامعين التي كانت تضم « اخوان الصفا » وكان من نتاجها هذه الرسائل الفلسفية الخالدة التي شغلت المفكرين من ايامهم الى يومنا هذا . وتلك امثلة قليلة ، هي غيض من فيض ، وقد نسي الرواة اكثرها ، وضاع تحت الانقاض معظمها ، فلم تصل الى علمنا آثارها .

هذي هي صلة الرجل بالرجل في المجتمعات العربية الغابرة ، وتلك بدائع انتاجها في حدائق الفن والفكر . فاذا انتقلت الى صلة الرجل بالمرأة ، او المرأة بالرجل ، وجدت فيهما من الاسرار والدقائق ما لم يوفق العلم بعد الى ادراكه ، واغلب الظن انه لن يوفق اليه ما دام يعالج هذه القضايا على صعيد عام ، فانه مضطر في هذه الحالة الى القياس والمشابهة ، والعرب اهل عبقرية والمعية ، فلا يقاسون بغيرهم ، ولا ينطبق عليهم ما ينطبق على الامم المستحدثة التي تغذت على موائد الحضارات الاصيلة ، ولا تزال تقضم فتاتها ..

تأمل ما كان من أمر ابن زيدون وولادة بنت المستكفي تجد ان صلتها لم تكن حباً بالمعنى العامي او الاوربي الحديث ، فهو ينظر اليها من قرارة روحه مأخوذاً بما يفيض عن شمائلها من جلال وعظمة ، هما في طبيعة الانوثة منبع القداسة ، وجدول الرقة الناعمة :

لسنا نسميك اجلالا وتكرمة وقدرك المعتلي عن ذاك يغنينا .

ثم هو لا يرتاح الى متع الحياة اذا كانت بعيدة عنه :

نأسى عليك اذ حثت مشعشعة فينا الكؤوس وغنانا مغنينا
لا أكؤس الراح تبدي من شمائلنا سيا ارتياح ولا الاوتار تلهينا ...

وهذي لغة صديق مع صديق ، وليست من جوها الصاحي في غير الصداقة الصحيحة . وهذا هو الشأن في عنترة وعبلة ، وجميل وبثينة ، وذي الرمة ومي ، وسائر المشاهير من العذريين : فان في احاديثهم ، واخبارهم وسيرهم ما يجعل المرء يكذب ما تسمع اذناه .

والرأي عندي ان هؤلاء العشاق لم يكونوا « عشاقاً » تسوقهم الغريزة الجنسية الى هذا النوع من السلوك ، لان من شأن الغريزة حين يلح بها النشاط ، ان تحطم قواعد الاخلاق ، وتجتاز حدود العرف ، وتمضي بصاحبها قدماً نحو غايتها لا تلوي على شيء ، ولا تحفل بشيء ، ولا تقيم وزناً لشيء ، على نحو ما حدث لبيرون الانكليزي ، والجورج صند الفرنسية — وانما كانوا « اصدقاء » ، واصدقاء المرأة دون الرجل . واذا تذكرت ان الصداقة العربية تحمل في غضون معناها الصدق والاخلاص والوفاء ، وتواكبها العفة دوماً في جميع احوالها ، أيقنت ان موقف قيس من ليلى لا يختلف ابداً عن موقف السموأل من امرىء القيس ، أي موقف صداقة .

والصداقة بين المرأة والرجل مشكلة معتاصة يفهمها كل حسب حياته النفسية واستعداده الروحي ! ولكن هناك وقائع وقعت دلت على امكانية هذه الصداقة فأبى الجمهور الا ان يعتبرها حباً لصعوبة التمييز ودقة الفوارق . وهذا سر انتشار كلمة « الحب الافلاطوني » .

اما « الهوى العذري » فما هو الا صداقة عربية بين رجل وامرأة .

بنت جبيل عبد اللطيف شراره

الضوء الاحمر

... يمر بعد نصف الليل ،
فيكتني بالضوء الاحمر في غرفتها !

محمد يوسف حمود

سمراء ، لي في ضوئك الاحمر … بعض الذي في وجهك الاسمر
لي فيه يا نازك ، وهج الهوى … ولون حلم الخاطر الاشقر
وهدأة القلب ، على شوقه … وغفوة الحب ، على المضمر

*

نامي ، خيوط النور ما بيننا … آهات شكوانا ، على المفتري
اسلاك قلبينا ، ونجواهما … قولي لها ، ما شئت ، لا تحذري
قلبي هنا ، يصغي الى همسها … تنقل لي ، عن قلبك الاطهر
وحدي انا ، ما من رقيب ، ولا … من شبح يسري ، ولا ممر
وحدي انا ، اقبلت عف الخطى … الى هنا ، والليل لم يشعر
لا التقي ، الا فراغ المدى … كأنني في مهمه مقفر
كأن لا حب ، ودنيا منى … خضراء ، تزهو بالصبا الاخضر

*

نامي ، وحسبي من خيوط الضيا … ما فيك من قد ، وروح طري
حسبي اذا مرت طيوف المنى … مع الهوى ، في حلمك المقمر
اني خيال ، في جفون الرؤى … وجرأة تدنو ، ولا تجتري
بي من اباء النفس ، بعض الذي … عودتنيه ، من اباء السري
انا الذي كنت له المبتدا … والمنتهى ، في عمره ، فاذكري

*

لا لا ، دعي الذكرى وآهاتها … مرتاحة ، في امسنا العنبري
وبكرة ، نصحو على مشرق … مجنح الامال .. مخضوضر
ونلتقي ... انشودة للهوى … في خاطر العشاق لم تخطر

*

نامي ، وخلي الليل ، يهفو الى … مرمى خيال الشاعر العبقري
ففي حجاب الليل ، غفو الرؤى … ووعيها ، في فجره المسفر

حب

بقلم امين يوسف غراب



مهداة للشاعر صلاح الاسير

لم يكن زواجها منه وليد الصدفة ولا نتيجة فكرة طارئة عرضت على بساط البحث ودرست ثم نفذت . ولا هو ايضاً رغبة منها في مجرد الزواج فحسب . ولكنه كان تحقيق غاية حب جارف قوي لا يعبأ بالتقاليد ، ولا يأبه بعرف ولا يقيم للاوضاع المعروفة المشروعة وزناً . حب كان مثله الاعلى تحقيق غايته وغايته فحسب . لذلك حمل تلك الغاية على يد قوية متجهاً بها صوب شاطئها وشهر في اليد الثانية نصله الحاد الباتر يغمده في صدر كل معترض ويصد به كل عرف او تقليد يقف دونه او يعترض سبيله الى ان بلغ الشاطىء فتزوجته .

كانت تسكن معها امها واختها في بيت واحد تملكه . ولكنهن لم يشغلن البيت كله بل تركن غرفه العديدة تستأجرها الناس . وكان هو احد هؤلاء الناس ولكنه كان يختلف عنهم اختلافاً كبيراً . فقد كان احد اولئك الذين ظلمهم المجتمع بنظمه القاسية ووقفت اخلاق الجيل تسخر منهم وتزدريهم لانهم فقراء . فقد فقد ابويه قبل ان يتم تعليمه ولم يكن لديهما من متاع الدنيا شيئاً مذكوراً وكان لا بد له ان يعيش وان يبحث عن اللقمة . فراح يطرق الابواب باباً باباً . والدور داراً داراً الى ان حط رحاله في المدينة يعمل في متجر من متاجرها طوال اليوم ببضع قروش معدودات ويقضي الليل في غرفة مظلمة بأعلى سطوح تلك الدار .

ولما رأته اختها منه نظراته القلقة الحائرة ، وشحوبه الساجي الحزين ، واطراقه المنبسط على نفسه المتاعة ووحدته القاتلة حتى لكأنه غريب على الدنيا جديد على اهلها . ففكرت فيه ثم عطفت عليه ثم دون ان تشعر انقلب العطف عندها الى ذلك الحب القوي الحاد الذي جعلها تجهر به علانية وتعمل جادة على فسخ خطوبتها من احد ابناء عمها دون ان تعبأ بوضع او تقليد او عرف . ولما تزوجته وادنى الحب من ثغرها اولى ثماره الناضجة تفتحت جوارحها عن رغبة صادقة في الاحتفاظ بزوجها والهبت تلك الرغبة قلبها وحرقت عينيهـا حتى غدت لا ترى الا وجهه الذي تركزت فيه حياتها وتجمعت في جبهته دنياها . لذلك راحت تغدق عليه من نفسها وقلبها وما لها الشيء الكثير حتى غدا يرفل في ثوب قشيب من الرفاهية ويمشي على بساط من الهناء مترامي الاطراف .

ولكن الامر بعد هذا لم يقف عند هذا الحد بل تعداه الى تلك الحدود التي يبلغ فيها الحب منتهاه لذلك انقلبت هذه الرغبة عندها الى غيرة جنونية جعلتها تشك في نفسها كزوجة جميلة تستطيع ان تستحوذ على قلبه وتملك نفسه وتكبح جمـاح عواطفه وتجعله يحتفظ بها وحدها وبها دون سواها . ومن ثم كان الخلاف الدائم والشجار المستمر .

بيد ان ذلك كان من جانب واحد . جانبها هي . فاذا لم يضحك فهو الضيق الذرع بحياته معها . واذا لم يقبلها دائماً فهو الذي قد نضب معين الحب من قلبه . واذا تأخر عن موعده بضع دقائق فقد قضاها بين احضان غانية او متعلقاً باذيال قينة . واذا حلق ذقنه وادام النظر في المرآة مرة فذلك لانه على موعد مع امرأة . اما اذا رأته يحادث اختها . او يجيب عن سؤال وجهته اليه . فتلك الليلة هي الليلة الليلاء والزعزع النكباء .

— وما دمت تريد ان تتزوجها . ومـا دامت قد شغفتك حباً فلماذا لا تصرح بذلك علانية وتجهر به بدل هذا الجحيم الذي نحن فيه .

— ولكن شيئاً من ذلك لم يحدث . انني ازدريها وامقتها . امقت فيها على الاقل احتقارها لي وسخريتها من طاعتي لك .

— لا انك مخاتل . انك كذاب . انك تكرهني .

ثم تنفجر باكية منتحبة تردد . انك شيطان . انك شيطان .

مع ان هذا الشيطان ، يخافها ويرهبهـا ، وترتعد فرائصه ارتعاداً ان اتى امراً ظنه لا يرضيها . وهو في يدها كالسائمة يأتمر بأمرها ولا ينقل قدماً الا باذنها . توجهه فيتوجه . وتسأله فيجيب . وتنظر اليه فيصمت . ويغمض عينيه حتى لكأنه في سبات عميق . ولكنه عندها شيطان . وشيطان ماكر فاجر لئيم لا يرعى للزوجة ذمار . ولا يحب من احبته .

وفكرت ثم فكرت وهداها تفكيرها الى ان الهناء الذي تنشده مستحيل . والسعادة التي تودها بعيدة ما دامت اختها في الدار .

ومـا دامت تقع نظراته كل يوم على هذه الاخت التي هي كالافعوان . وفي نظر الناس قينة ،فتان فارعة القد مشرئبة العنق ، مشرقة المحيا ، يكاد تثنيها يقتل الرجال ويفتك فتكاً باشد القلوب صلابة ومناعة . والتي هي ايضاً قد فرع عودها فجأة . وطابت ثمارها على غير انتظار . واستهوى جمالها النساء بله الرجال وبله هو الذي يقيم معها في الدار .

ولكن كيف تتخلص منها ليصفو لها الجو . وتنقشع تلك الغمامة السوداء الدكناء التي تحلق في سماء البيت . وفي ارجاء قلبها .. ان له لاخاً يقيم وحيداً في طنطا فلمَ لا تعمل على تزويجها منه . وبذلك تكون قد ربحت اولاً وآخرا ربحت صفاء الجـو وانقشاع الغيام . وربحت ذلك الحجر الجديد الذي وضعته في اساس حياتها الزوجية .. ولكن هل يقبل ذلك زوجها ؟ .. زوجها .. انه من سقط المتاع فلا حساب له .. وهل يقبل اخوه ؟ .. وهل تقبل اختها ؟ .. ولكني انا اريد .. ولـن تغلبي اذا اردت يا زينب .

ولم تمض سوى ايام حتى كانت قد تحدثت في الامر واتمته . وتحملت هي كل نفقات العرس وهي بذلك فرحة راضية مطمئنة ولو انفقت فيه آخر درهم تملكه ولو باعت تلك الدار التي انفقت حياتها في سبيل الحصول عليها . ولما عادت وزوجها صباح «الدخله» من طنطا الى المدينة واقبلت معه على الدار التي خلت من اختها . نظرت اليها فرأت الهناء الذي كانت تنشده كامناً فعلاً في ساحتها والنور متألقاً في ارجائها . فاستلقت ضاحكة وقالت .

– اتدري لماذا صنعت كل هذا . وعجلت به ..

– فتمتمت شفتاه – لماذا

– لكي احرمك من نبوية . واحرمها منك .

فلمعت عيناه . ورأت اهدابه . واستفظع منها هذا الشك الذي أبت بلاهته ان تفهمه او تحس به رغم انه كان حديث الاهل والجار وقال

– اتشكين في الى هذا الحد

– واكثر من هذا الحد .

ثم اقتربت منه وعركت اذنه بأناملها قائلة :

– وحرمت عليك بعد اليوم طنطا . او البلد الذي تكون فيه دارها .

فاقسم جاداً . وقد آلمته اذنه القابضة عليها . ولم تؤلمه رجولته المنحنية امامها .

– لك ما تأمرين . ولن أرى شقيقي الا معك . او بأذنك .

وفعلاً كان ذلك ولم يذهب بمفرده مرة لاخيه . فاذا مرض او طرأ طارىء اضطره الى الذهاب اليه فهي الذاهبة معه ولم تتركه مهما كان ومهما حدث . اما اذا ارادت هي ان تزور اختهـا . وتقضي عندها اياماً فهو الباقي وحده في الدار . المنفذ لجميع تعليماتها اثناء غيبتها . المحافظ عـلى مواعيده كما لو كانت هي في الدار تنتظره . واذا عاد الى الدار فلن يغادرها الا مع الصباح كعادته . ولكن بعد ان يكون قد نظم غرفاتها . ورتب اثاثها واطلق الفراريج من قفصها . لتستقبل شمس الصباح وهو بينها ينثر لهـا حبات الحنطة . التي كان يرى لذته في تجمع الفراريج عليها وتزاحمها وتطاحنها في سبيل التقاطها . وبمضي الايام الف هذه الحياة واغرم بها غراماً ضاعف من حبه لفراريجه التي القته هي الاخرى وميزته وراحت تهش لمقدمه وتطرب لطلعته كلما اقبل عليها يسقيهـا او يطعمها . حتى ود لو كان متعطلا كي لا يجد حائلا يحول بينه وبين السطوح الذي احتوى عرائسه . ولكن الوظيفة . ما أثقل اسمها . وما اسمج ظلها . انها كثيراً ما تحول بين المرء ورغباته . ولولاها . ودقة مواعيدها وتعنت اصحاب المتجر الذي يشتغل فيه .
لما حدث ذلك الحادث المروع الذي ذهبت ضحيته تلك النفوس الثلاث البريئة تشكو الى ربها اهمال الانسان وظلمه الفادح . وكان ذلك صباح ان استيقظ متأخراً عن ميعاده بضع دقائق فقام مذعوراً يرتدي ملابسه ثم اسرع مهرولاً الى السطوح ليطلق فراريجه ويطعمها ويسقيها . ولكن عجلته انسته وهو يقدم لها الآنية الفخار ملأى بالماء ان يضع فيها تلك الشقيفات الاربع التي تجنبها عوادي الغرق اثناء الشرب . ولما عاد مع الظهر وجد ثلاثاً من عرائسه زغب الحواصل غرقى في الماء . ففزع لذلـك فزعاً شديداً ادمى نفسه وابكاها . ولم يروح عنه الا تلك الدموع التي ذرفتها عيناه . ولكنه من يوم هذا الحادث استطاع ان يوفق بين عمله في الخارج واعماله داخل الدار . حتى أمن تكرار حادث ذلك اليوم المشؤوم .

ولكن زوجه بدأت تحس منه هذا الاهتمام الذي لا مبرر له وتلمسه يتضاعف يوماً بعد يوم فاهتمت بالامر واخذت تترقب منه هذا الاهتمام عن كثب الى ان ايقنت من حبه لفراريجه . فآلمها ان تقاسمها هذه الفراريج حب زوجها . وغاظها ذلك وأثار حفيظتها حتى انها صرحت به علانية له . وامرته ان لا يصعد البتة الى السطوح فلا شأن له به ولا بفراريجها . اذ هذا من عملها هي . فافهمها ان هذه هوايته . وانه يرى في ذلك لذة لا تعدلها لذة . ولم يك يدري

وهو يقول هذا انه يضاعف من غضبها ويحز في نفسها بسكين مثلومة ، لذلك حدث الخلاف الشديد بينها الذي انتهى بخضوعه لامرها ولكن على الرغم منه .

بيد انه لم يكن امينا على العهد فقد كان يتلصص احيانا ويغافلها وينتهز فرصة غيابها عن الدار ويصعد مهرولا الى السطوح ويقضي بين عرائسه الحسان اسعد لحظاته .

وحدث ان غافلها مرة وصعد ليمتع نفسه بتلك العرائس التي كبرت ونضجت ولاحت اعرافها . ولكنه عاد مهموما محزونا يكاد الاسى يرتسم ارتساما على محياه . ذلك لانه وجد « عالية » مريضة مرضا الم بمفاصلها . واقعدها عن متابعة التريض والتجوال على السطوح .

وكانت عالية هذه ام فراريجه الحسان . ولاحظت عليه زوجه حزنه وسهومه . فسألته سر كآبته . وهم ان يصدقها الامر ولكنه عاد فخشي تلك العاقبة المدمرة فادعى ان مرضا عارضا ألم به وهذا سر كآبته .

وظل ليله لم ينم وظنت زوجته ان المرض هو الذي حال بينه وبين النوم فمكثت مستيقظة بجواره الى حين . ثم استسلمت الى نوم عميق . وظل هو مستيقظا الى الصباح المبكر فتسلل من جوارها خلسة وراح يصعد الدرج على مهل وفي حذر شديد حتى لا تشعر به . وحتى يطمئن على عالية . ولكنه رآها في مكانها الذي تركها فيه امس لم تبرحه ولم تفارقها العلة . وهم ان يقترب منها ليفحصها ويؤاسيها ولكنه سمع صوت زوجته تناديه فارتد مذعورا ترتعد فرائصه وقد حال لونه وجف لعابه . وما ان رآها حتى وجدها تذرف الدمع السخين على حظها العاثر ، وبختها المائل الذي اوقعها في رجل يفضل عليها الفراريج .

وراح يستغفر عن هذا الذنب . وينثر لها الاعتذارات . ويسألها المغفرة عن هذه الزلة التي ستكون آخر الزلات . والذنب الذي سيكون آخر الذنوب . وظل يقنعها وظلت تلومه وتؤنبه . حتى انتهيا الى ان هذه المرة هي آخر المرات . ولما احس الى انها قد اطمأنت الى وعوده بعض الشيء . تركها وغادر الدار ولكن مرض عالية كان شغله الشاغل . حتى فكر في ضرورة معالجتها هذا اليوم .

ولما انصرف ازمعت زوجه في نفسها امرا يخلصها من هذا الكرب الجديد الذي الم بها ونغص حياتها ويكاد يأخذ زوجها منها . وهو ان تبيع هذه الفراريج او تذبحها كلها في يوم واحد .

وهذا هو الحل الملائم الذي يريحها ويعيد اليها زوجها ويجعلها تطمئن الى انه لها ولها وحدها دون سواها .

وانتهزت فرصة خروجه وصعدت الى مكان الاعداء لتحصيهم . ثم تذبح ما تذبحه وتبيع ما تبيعه . وما ان استقرت قدماها على السطوح حتى انتابتها هزة راعشة عنيفة جعلت الفضاء يدور بها دورانا . وصعد الدم حارا ملتهبا الى وجهها فاصهره . وبدل ملامحه وراحت عيناها تنفث اشعاع النظر الناري امامها كالحمم . فقد رأت جارتها (زكية) تقف على سطوح بيتها المتاخم لسطوحها بغلالتها البيضاء الرقيقة وقد تركت شعرها الكستنائي اللامع تتدلى خصلاته على وجهها البسام فتزيده اشراقا ونورا . مرتكزة بمرفقها على السور الخشبي الذي لا يبعد سوى امتار قلائل عن المكان الذي تعود زوجها ان يجلس فيه وهو يداعب فراريجه .

الآن قد فهمت انها امرأة غبية استطاع ان يغافلها هذا الزوج الماكر . ويستغفلها متخذا من هذه الفراريج حجة تبرر له هذا الاثم الذي كان بمثابة طعنة نجلاء ادمت قلبها وأصمت كبرياءها . انها حقا اغبى نساء العالم طرا . لقد كادت من فرط بلاهتها ان تصدق اعتذاراته عندما تسلل من جوارها خلسة هذا الصباح وصعد مهرولا الى السطوح . ولكنها لم تكن تظن فيه كل هذا الختل والدهاء . مع ان قلبها قد شعر بذلك واحس به . وحدثها عنه مرات . وافتها اليه غير مرة . ولكنها مجنونة .. مجنونة . ليته لم يخرج .. ليته كان هنا . اذن لانشبت أظافري في عنقه وقتلته قتلا ..

ولكني سأذهب اليه . وسأنشب اظافري في عنقه واقتله ..

وهمت ان ترجع مسرعة من حيث اتت ولكن زكية احست بأنها لم تلق عليها تحية الصباح كعادتها . فألقت هي عليها التحية . فردتها بلسان متلعثم ثم اردفت في تهكم مرير .

— ما كنت احسبك تستيقظين مبكرة هكذا كل يوم .

— لانني مريضة من يومين . ورأيت ان استقبل شمس الصباح الدافئة .

فردت متهكمة ايضا وقد غاظها ان تسخر منها هذه المرأة القذرة . وتعبث بعقلها الى هذا الحد .

— الف سلامة عليك .

ثم راحت تهبط الدرج وكأنها الحية الرقطاء . واسرعت بارتداء ملابسها على عجل . وخرجت قاصدة المتجر الذي يعمل فيه زوجها . ولما لم تجده سألت عنه وألحت في السؤال والشرر يتطاير

من عينيها . فقيل لها انه استأذن من نصف ساعة بحجة ان عنده مريضة يود ان يستفسر عن مرضها من احد الاطباء . . فارتدت وهي متدهورة الانفاس تتمتم في غيظ . . مريضة . . دكتور .

ورأرأت عيناها وهمهمت شفتاها . ثم انطلقت كالسهم الطائش تخترق الازقة والطرقات وهي محمومة تريد ان تلحق به قبل ان يسأل الطبيب عن مرض زكية . لتقول له انها ما زالت بخير . وانها في مكانها الذي تركها فيه من السطح تتيه بغلالتها البيضاء الرقيقة وشعرها الكستنائي اللامع .

ولما اعياها البحث عنه ، قفلت راجعة الى الدار تتلفت حواليها كالمجنونة . تقطع الغيرة نياط قلبها . وتلهب وجدانها وتحز في نفسها حزاً قاتلاً بسكاكين غير حادة الانصال . حتى غدت كاللبوة المسعورة المتعطشة الى الدماء . وما ان دخلت الدار ورأت صورته الكبيرة المعلقة على الحائط . حتى انهالت عليها وحطمتها تحطيما ثم انقلبت الى ثيابه وهي التي رأتها امامها فأنشبت اظافرها فيها وراحت تمزقها تمزيقاً ثم تلقي بها ممزقة على وابور الغاز المشتعل .

وفيما هي كذلك اذا به يقبل على الدار يحمل في يده زجاجة من الخل النقي . احضرها ليسقي منها (عالية) ثلاث نقط في اليوم حسب وصف طبيب بيطري المركز حتى يتم شفاؤها . وما ان رأته حتى تصلبت اساريرها وجحظت عيناها وابتدرته بصوت خشن اجش مروع . — اين كنت .

ولكنه انشغل بالثياب الممزقة والصورة المحطمة عن الاجابة السريعة .

وغاظها ان يبلغ احتقاره لها الى حد عدم الاجابة . فنسيت نفسها وبحركة طغت فيها انانية الحب . وثورة الاثرة . قذفت بوابور الكاز الملتهب في وجهه . ثم تعالى الصراخ والعويل .

*

بعد ثلاثة اشهر كانت ترى امرأة آتية من طريق المستشفى، تقود رجلاً ضريراً . ولما دخلت به الدار وضعت على جبينه قبلة وقالت وهي تهيىء له المقعد الذي يجلس عليه . وتنظر الى عينيه الغائرتين المغلقتين ! !

— الآن قد استأثرت بك حقاً . واحببتك حقيقة .

فقال وهو يتحسس بيده المرتعشة المكان الذي سيجلس فيه

— ولكن ترين هل يدوم هذا الحب . ؟ ؟

القاهرة — امين يوسف غراب

الاديب

*

— لا يقبل الاشتراك الا عن سنة كاملة بدؤها من شهر كانون الثاني (يناير) .

— تدفع قيمة الاشتراك مقدماً وهي :
في سوريا ولبنان : ١٢ ليرة لبنانية .
في الخارج : ١٥٠ قرشاً مصرياً او ما يعادلها ترسل حوالة بريدية دولية او حوالة على مصرف في بيروت
في فرنسا وتوابعها : ١٦ ليرة لبنانية

— الادارة غير مسؤولة عن الاعداد التي تفقد في البريد

— احتفظت الادارة ببعض اجزاء السنة الاولى والثانية والثالثة فمن شاء من هذه الاجزاء فليطلبها وثمن الجزء من السنة الاولى ليرتان ومن السنة الثانية ليرة ونصف ومن السنة الثالثة ليرة .

— تدفع الادارة ليرتين ثمن النسخة الواحدة من الجزء الثاني من السنة الرابعة ١٩٤٥

— تطلب مجموعات الاديب من الادارة بالثمن التالي :

مجموعة السنة الاولى	١٩٤٢	٣٥ ليرة
مجموعة السنة الثانية	١٩٤٣	٢٥ ليرة
مجموعة السنة الثالثة	١٩٤٤	١٥ ليرة

— المقالات التي ترسل الى الاديب، لا ترد الى اصحابها سواء نشرت ام لم تنشر .

ادارة الاديب : شارع الاحرار ، غربي ساحة الدباس

صاحب المجلة ورئيس تحريرها : البير اديب
سكرتير التحرير : بهيج عثمان

توجه جميع المراسلات الى العنوان التالي :
مجلة الاديب — صندوق البريد رقم ٨٧٨ بيروت — لبنان

ابن خفاجة في مرآة نفسه

بقلم عدنان الذهبي

✶

مصدرنا ديوان ابن خفاجة نفسه ... وهو على ما اظن كاف، ولاسيا وابن خفاجة شاعر وصاف لم يترك لنا شيئاً عن نفسه واحوالها ولا عن عصره وتألباته الا وذكره بكل صدق وصراحة ... ولست اغالي ان قلت في شعره كله انه مرآة سحرية تعكس — كل ما كان في عصر صاحبها من خير وشر ... وقد يطول وقوفنا امام هذه المرآة ، وقد تطول ساعات تمتعنا بازاهير الديوان كلها : ولكن .. اسمح لنفسي الآن، ان لا نعلق الانظار الا على ابن خفاجة الشاعر : فنراه في مرآة نفسه ...

اما الزمان الذي نحن فيه الآن مع شاعرنا ابي اسحـاق فهو غروب القرن الخامس الهجري وبعض ساعات مـن ضحى القرن السادس؛ واما المكان فهو بلنسية بصورة خاصة ، والاندلس وشمال افريقيا بصورة عامة ... وليس الآن وقت دراسة العصر وثقافته وحالاته ، كما اني لا ارى الحاجة ماسة لوصف هذه البلاد الواسعة : الاندلس وشمال افريقيا ... ولكن ، لا بد لي من ان امر مسرعاً على زاوية من زوايا الاندلس الرحبة ، زاوية قد تركت في نفس شاعرنا اثرها الاكبر وميزته على كثير وكثير من الشعراء : علـى بلنسية الجاثمة في الشمال الشرقي درعاً من دروع الاسلام المجاهد ، وحصناً من حصون العروبة المظفرة ... ولا يأمل القارىء مني وصفاً مسهباً لطبيعة هذه البقعة او انوائها او غير ذلك ولكن سأكتفي هنا بذكر ما ميزها عن غيرها من بقاع الاندلس متحرياً بذلك الدقة والسرعة .. واول هذه الاشياء هو وجودها على البحر : قال ابن الزقاق وهو شاعر بلنسي عاصر ابن خفاجة :

بلنسية اذا فكرت فيها ... وفي آياتها اسنى البلادِ
كساها ربها ديباج حسن ... له علمان من بحر ووادي ..

كما انها « ينبت فيها الزعفران .. وبها كمثرى يسمى الارزة في قـدر حبة العنب قد جمع مع حلاوة الطعم ذكاء الرائحة ، اذا دخل داراً عرف برائحته .. » وهـذه الميزة الثانية اظن ان ابن زيدون كان يعنيها حين وصف بلنسية فقال :

أنضيض مسك أم بلنسية لرياها نيم ؟!..

ثم « يقال ان ضوء بلنسية يزيد على ضوء سائر بلاد الاندلس . وبها منارة ومسارح اشهرها (الرصافة) و(منية) ابن ابي عامر[1] »

ثم ماذا ؟. هل اقول انها قد خلت من كل عيب ؟!. لا. ان لبلنسية كما لكل شيء مزايا وعيوباً .. ولكن عيوبها قليلة . فمنها انها يكثر بعوضها وبراغيثها . قال احدهم :

ضـاقت بلنسية بي ... وزاد عني غموضي :
رقص البراغيث فيهـا ... على غناء البعوض ...

وانها ، وهذا من ابرز عيوبها ، بلاد حربية اي : ساحة وغى من جهة ومنطقة جوع ومشقة من جهة ثانية . قال ابن عياش في هذا :

بلنسية بيني عن القلب سلوةً ... فانك روض لا احن لزهرك !!
وكيف يحب المرء داراً تقسمت ... على صارمي جوع وفتنة مشرك ..

وهذا كل ما يؤخذ عليها ... ولكن ... سنرى ان ابن خفاجة قد وقاه الله شر الشعور بهذه العيوب كلهـا : فهو غني من ملاكي الاندلس . وباستطاعته ان يكافح البعوض والبراغيث ، وباستطاعته ايضاً ان يكافح الجوع والمشقة فلا يشعر بهما في اي فصل من فصول السنة ... كما ان باستطاعته ان ينام ملء جفنيه عن الحروب فلا يسمع حسيسها حتى ولا يعلم بوجودها مطلقاً ... كان باستطاعته ذلك كله ... وقد فعل له مـا ساعده ضميره ان يفعل : فلم يشعر بالبعوض ولا بالبراغيث ولا بالجوع ولا بالمشقة .. ولكنه لم يستطع الا ان يشعر بالحروب : انه شعر بالحروب وعوضاً من ان يعتذر اعتذار ابن حريق الذي رد على ابن عياش بقوله :

بلنسية قـرارة كل حسن ... حديث صح في شرق وغرب
فان قالوا محـل غلاء سعر ... ومسقط ديمتي طعن وضرب
فقل هي جنة حفت رباها ... بمكروهين من جوع وحرب .

فانا رأينا ابن خفاجة يخوض غمار هذه الحروب . رايناه ينزل الى صفوف المجاهدين ، يحارب ويجوب البلاد وينتصر .. وسنعلل هذه الظواهر في تتبعنا سيرة حياته : هذه الحياة التي تجعلنا لا نتردد دقيقة واحدة في ان نضيف الى القابه الشهيرة لقباً ينصفه كل الانصاف وهو : الشاعر البطل ..

في ذلك الجو الساحر العطر ، وبين احضـان الطبيعة والغنى والجاه . استقبلت الحياة شاعرنا ابراهيم في السنة الخمسـين بعد الاربعمائة اي بعد عام واحد من وفاة شاعر الفلاسفة ابي العـلاء المعري .. فنشأ يتيماً ، ناعم البـال ، لا يزجره زاجر ولا يقيده قيد . حتى اذا ما اشتد ساعده ووطيء ارض الشباب الملتهبة

(١) نفح الطيب للمقري . الجزء الثاني من مطبوعات دار المأمون .

راح ينمي على حساب الدين والعقل والعافية، غريزته الطفلة وعواطفه المجونية وخياله الشاعر ... فعربد في جوه ذاك وفسق .. حتى وصل به الحد الى ان لا يرى في العيش الا السرير والابريق :

- ومـا الانس الا في مجاج زجاجة ولا العيش الا في صرير سرير !!.
- انما العيش مدام احمر قام يسقيه غلام احور !!.

هنالك في برجه العاجي ترك ابن خفاجة عنان نفسه لشهواتها وقضى على ذلك شطراً كبيراً من حياته غير مبال باقوال الناس او بما يسمونه الدين والاخلاق : فهو يلهو ويلهو . ويشرب ويطرب ويفسق ، ودأبه الوحيد في هذا وذاك ان يبحث عـن منظر جميل او كاعب حسناء .. ومنطق القلوب يقول : « حذار ان تفوتك الفرص .. »

فما لعقل رامز والمنى وما لتمس مرة والذهب
فابتع بكيس كاس مشمولة واسحب ذيول اللهو واخلع وهب
واستضحك المجالس عن قهوة قد نبهت للصبح هدءا فهب .

وانت ان اتيته ترجوه ان يعدل عن خطته هذه .. قال :

صممت سمعاً فلا اصغي الى العذل وهمت قلباً فلا اصحو عن الغزل .

وراح يقص عليك من انباء مغامراته ويحدثك عن لياليه الحسان ويصف لك مجالسه .. ولا ينسى في هذا وذاك ان يقول لك انه جميل المنظر :

جرت جمالاً فرعت البصر وذبت سقاماً ففت النظر ...

وانه حلو الحديث عذب الالفاظ :

فلله قولي مـا اهذبا ولله لفظي ما اعذبا ...

وانه كان يستعين بالشعر على قلوب العذارى :

وطبنا معاً شعراً وثغراً كأنما له منطقي ثغر ولي ثغره شعر .

وغير ذلك مما يفيض به الديوان ... حتى نراه لا يحجم من ان يقول انه في هذا الزمان اللذيذ :

هصرت فيه من غصون الصبا وبت اجني من ثمار الذنوب(١) .

هذا ما يقوله ابن خفاجة عن نفسه ولكن اتدري مـا هو السبب الرئيسي الذي جعله ينحو هذا المنحى في حياته ! ؟. قلنا انه غني جميل المنظر حسن الهندام حلو الحديث وغير ذلك ممـا كان ساعد على اندفاعه في تلك البؤرة الفاسقة .. ولكن هنالك عاملاً رئيسياً لم يبح لنا به في ديوانه ، كان له الاثر الاكبر في تكوين شخصيته .. فما هو هذا الشيء ؟! . انظر الى الديوان تراه يعج بقصائد جمعت كل اغراض الشعر مـن وصف مديح ورثاء وغزل وهجاء .. وتأمل هذه القصائد كلها تراها تعج بالعواطف والصور .. ولكنك لن تجد لابويه اي ذكر . في شعره كله بينما تراه مثلاً قد ذكر اخته التي رثى ابنها !!! اذاً .. نحن بين امور ثلاثة : اما ان يكون ابواه قد عاشا عمر شاعرنا الى جانب عمريهما .. وهذا بعيد ولاسيما وشاعرنا قد تعدى الثمانين . واما انه كان يكرههما . وهذا ابعد .. واما انه نشأ يتيماً ، لم يزجره زاجر ولم يقيده قيد .. وهذا ما نقره : لانه يفسر لنا حياته كلها .. لقد ترك عنان نفسه لشهواتها وجنى من ثمار الذنوب ما قدر له الله ان يجني .. ولكن كم ذا نعجب حين نقف امام هذا الشباب المحطم الفاسق متسائلين عن البيئة التي ضمته ، باحثين عن اسماء مؤدبيه .. مستفسرين .. فلا نجد امامنا غير ابن خفاجة يقول :

لعمري لو ارضعت في منهج التقى لكان لنا من كل صالحة نهج .

ونجده في مواضع عدة من ديوانه يحث الناس عـلى تربية اطفالهم .. هذه التربية التي حرمها .. هذا ما يقوله غير مبال بما قال .. ثم يذهب .. ويتركنا يذهب بنا الظن الى ان انقاذه من هذه اللجج الفاسدة اصبح من المحال .. وانه سيترك الحياة ظمآن النفس .. متعطشاً بعد الى خمرة .. الى رضـاب .. الى فسق وفجور .. يتركنا يذهب بنا الظن الى ذلك كله ولكن .. سرعان ما نراه يقوم يكذب بنفسه هذه الظنون .. يهب يترك برجه العاجي وقيانه فيه ، يقوم لا ليتوب .. ولكن يهب للحروب ؟ .. هو .. هو شاعر الميوعة الذي عهدناه لا يصحو ولا يرعوي .. يذهب وما يكاد يجتاز الطريق حتى يسمع الطفيليين يتساءلون عن النبأ العظيم الذي هم فيه مختلفون : ترى أهذا الذي نراه هو ابن خفاجة .. ابن خفاجة المائع .. الفاسق .. واذا به يرد عليهم بكل شهـامة وعزة نفس :

سأمضي واما بيت نفس كريمة مجد .. واما بيت عز يشيد ..

حقاً ان في هذا الانقلاب الفجائي ما يثير الدهشة والاعجاب .. كيف سهل عليه ان يترك برجه ذاك .. بل كيف شعر بالحروب وباستطاعته ان ينام ملء جفنيه عن شواردها !! .. اسئلة ان انت ذهبت الى النقد القديم تسأله عنها اجاب : « ان شعر ابن خفاجة رقيق وعذب ولكن الصور تتراكم فيه .. وهذا عيب كانت شيوخ ابن خلدون — رضي الله عنهم — تأخذه عليه .. » هذا ما سيقوله لك النقد القديم ولكن تعال معي لنقف على نفس شاعرنا فهنالك الجواب .. حقاً اننا نعجب لهذا الانقلاب البارز ولكن يتلاشى تعجبنا حين نرى شاعرنا في نشأته البوهيمية الفاسقة تلك ، قد خلق

(١) — لاحظ هاتين الكلمتين وقارن بينها وبين كلمتي صاحبه بودلير : ازهار الشر ...

فيه ، بوعي وبغير وعي ، تلك العاطفة السماوية التي ظلت توجهه طيلة حياته .. الا وهي : حب الحرية .. ونحن لا يمكننا ان نغفل في دراستنا هذا الحب الذي هو حجر الزاوية لشخصيته كلها .. بل بالاحرى انه هو الكلمة التي تلخص هذه الشخصية : والادلة على ذلك كثيرة : فلقد اطلقه الله من قيود الفقر وقيود التكسب بالشعر ؛ ولكنه فرط بهذه المنحة ونشأ تلك النشأة التي لا اطلب منك على كل حال ان تعدها مثالاً لحبه للحرية .. ولكن تصور رجلا مثل ابن خفاجة قد جر ذيول اللهو والمجون ما ينيف عن خمس وعشرين سنة ، وقضى شطراً كبيراً من شبابه في برج عاجي لا يتقلب فيه الا على اكف عذارى او على حرير وثير .. تصوره وقل لي : هل يفكر يوماً مثل هذا الرجل – ان لم يكن حراً ومحباً للحرية – في ان يترك هذه الحياة الهادئة ، وتلك العذارى ليخوض غمار الحروب المزعره ويجوب البلاد مجاهداً يقدم للحرية شعره وروحه ؟!! ..

قد تقول : نعم ! .. وقد تقول : لم لا ؟! .. وعلى الحالين فابن خفاجة قد ترك برجه ؛ ونزل ، يوم دعاه صوت النفير ، الى صفوف المحاربين يرابط معهم ويدافع عن حصون بلنسية المغلقة في وجه « السيد » وجنوده .. نزل الى صفوف المجاهدين يتعب ويكد من اجل قدسية الوطن .. ولكن .. في ذلك الحصار ، وفي تلك الدقيقة التي كادوا يقطفون فيها ثمار النصر ، قام الرأي العام – والرأي العام اصم ، اعمى ، مظلم ، جاحد – قام يرغم القاضي على فتح ابواب بلنسية .. يا لله .. تمر ساعات نقاش ، ويرغم القاضي على فتح الابواب ، وتفتح الابواب ، ويدخل العدو [1] .. وشاعرنا البطل في بلد غير هذا البلد ، ومع جماعة غير هذه الجماعة يقول على مسمع من الدهر :

وقبضت ذيلي رغبة عن معشر ... عوج الطباع كأنهم اضلاع
جارين من شوط العناد كأنهم ... سيل تدفق موجه دفاع
افرغت من كلمي على اكبادهم ... قطراً له اسماعهم اقماع [2] ..

لا تبحث اليوم عن ابن خفاجة ليشاركك اعجابك بجمال المرأة ، ولا تطلبه ليحتسي معك من دنان اللهو والمجون ، ولكن اطلبه

(١) كان ذلك سنة ٤٨٧ ويقال ان اهل بلنسية ارغموا القاضي على فتح الابواب لانهم كانوا يكرهون المرابطين .. وعلى كل حال ظل «السيد» يحكمهم طيلة حياته ... ثم استرجع المرابطون بلنسية سنة ٤٩٢ .

(٢) اكبر الظن ان ابن خفاجة بدأ رحلته في هذه الاونة ؛ وان هذه الابيات قيلت في حادثة فتح ابواب بلنسية : وهو افتراض لم يزده البحث والتعمق الا يقينا ...

ليسمعك حسن ملاحمه ، وليقص عليك نبأ اسفاره ..

في فتية جنبوا المعاجة ليلة ... ولربما سفروا عن الاقمار !!.
ثار القتام بهم دخانا وارتمى ... زند الحفيظة منهم بشرار !!.

اذهب اليه نستمع الى الوديان تردد شعره :

كأني واحشاء البلاد تجنني ... سريرة حب والظلام فؤاد
اجوب جيوب البيد والصبح صارم ... له الليل غمد والفجر نجاد ..

انه اليوم في قلق متواصل : يجوب البلاد بلدة بلدة ، ويزور الامراء اميراً اميراً .. انه اليوم في شمال افريقيا يتشوق [1] الى الاندلس .. انه يمدح كل من يزوره .. انه يضطر الى المديح .. انه بين الجنود .. امام الموت لا يهاب العدى ولا يتذكر فتاه ولا يحن لقهوة ... ولكن :

وكنت على عهد السلو يشوقني ... حسام تغنى لا حمام ترنما ...
اغازل من سيف تألق صفحة ... وألثم من نقع ازاحمه لما ...
واسري فاستصفي من السيف صاحباً ... واركب من ظهر الدجنة ادهما .

كل هذا .. وهو نحيل الجسم ، وعروقه الشاعرة يدب فيها الوهن ، وقلبه الابي يحزه الالم .. حتى لو نظرت اليه يحمل رمحه لما عرفته :

وقد اشتبهنا سمرة ونحافة ... فلو التفت لما عرفت الاسمرا .

كل هذا واملة الوحيد انه سينتصر . وانه سيعود الى بلنسية وها بلنسية يسترجعها المرابطون .. وها هو ابن خفاجة يعود اليها .. وها ارجاء الاندلس تردد صيحته الشهيرة :

الآن سح غمام النصر فانهملا ... وقام صفو عمود الدين فاعتدلا
واقشع الكفر قسراً عن بلنسية ... فانجاب عنها حجاب كان منسدلا .

.. والذي كان همه المجون اصبح اليوم همه الوطن ورجاله ، والذي كان دأبه الغزل والخمريات اصبح اليوم دأبه المديح والفخر :

ويا حسن مرأى الملك بين مهند ... خضيب ورند للبراع نضير
وقد طارح السيف البراع فاطربا ... برجع صليل رائع وصرير . .

انه الآن يمدح ويفخر في ظل المرابطين الذين كان يحبهم والذين نشروا السلام على الاندلس كلها : يمدح الملوك الذين انقذوا بلاده ، يمدح اصدقاءه الذين زارهم في رحلته يمدح احبابه .. ويفخر : يفخر ببلاده وطبيعتها الساحرة يفخر ببلاده ورجالها .. فيهبك

(١) جاء في نفح الطيب : « ولله در ابن خفاجة حيث يقول :

ان للجنة بالاندلس ... مجتلى حسن وريا نفس
فسنا صبحتها من شنب ... ودجى ظلمتها من لعس
فاذا ما هبت الريح صبا ... صحت واشوقي الى الاندلس

... قالها وهو بالمغرب الاقصى في بر العدوة ، ومنزله في شرقي الاندلس بجزيرة شقر » ... انتهى

من هذا وذاك اصدق صورة عما رأى وما احس .. أفتدري ماذا قال يوم غادر وطنه بلنسية ؟ .. لقد كان متشائماً حراً ، قال :

وكنت رجوت ان اعتاض منه ... زعيماً او عليماً او صليما ...
ولما ان نظرت مع الليالي ... فلم انظر بها الا مليما ...
عباماً او كهاماً او جهاما ... لئيماً او ذميماً او زنيما(١) ...
شدوت على القوافي كف حر ... كريم لا يسوغها لئيما ...
فما اطري اذا أطريت الا ... حميماً او حبيباً او حميما ...

هذا ما قاله يوم عرف الحياة حق معرفتها ويوم رآها غير ما كان يتصورها في برجه العاجي : هذه الحياة التي اذاقته مر العذاب وجارت عليه باهوالها ومصائبها وارغمته على المدح .. فمدح ولكنه لم ينسَ قوله :

شددت على القوافي كف حر ... كريم لا يسوغها لئيما ...
فما اطري اذا اطريت الا ... حميماً او حبيباً او حميما !!! .

وكأني بهذه الابيات قد قالها سانّاً بها برنامجه الخاص لهذه الحياة الجديدة التي عركته وعركت قلبه وخياله الشاعرين ...

ابن خفاجة ولدته امه حراً ، وعاش حراً ، وقال الشعر حراً ، ولكن .. هذا الحر في اقواله والحر في اعماله كان عبد شهواته .. شهواته الحيوانية التي لم تتركه الا وقد امتصت جماله وعافيته واورثته الآلام والاحزان .. لقد ارغمت على ان تتركه كما ارغم على ان يتركها . وما ارغمه على ذلك الا الحالات السياسية والخطوب : انه ضعيف الارادة ، وهو نفسه يشعر بهذا الضعف النفسي ولكنه لا يفكر في ان يواريه عنك او ان يواربه بل يقول لك بكل صراحة انه ضعيف الارادة .. وانه توالت عليه الخطوب :

الا دعاني اليوم داعي النهى ... وقومت قدحي ايدي الخطوب

وانه باء بسقم عضال :

ابوء بعبء السقم بين حشاشة ... تجود وجسم قد تفرق ناحل
واسبح في بحر الشكاة لعلني ... ساعلق يوماً من نجاة بساحل ...

هذا السقم الذي ارقصه على اربع ارجل :

الا انها سن تزيد فانقص ... ونفضة حمى تعتريني فارقص

وانه احجم عن شرب الخمر :

وعطل الكاس من شقراء سابحة ... الا كفاها بايام الصبا سبحا

وانه رجع الى الله وتاب يترقب الآخرة :

فرحماك يا من عليه الحساب ... وزلفاك يا من اليه المآب

ولكنه ظل يشعر بضعفه وبقوة سلطان شهواته عليه :

لئن كففت عن المدام فان لي ... نفساً تهش بصدر ذاك المجلس .

هذه هي نفسية ابن خفاجة وهذه هي شخصيته التي حللناها مرتكزين على ديوانه وحياته .. والعجب كل العجب بعد هذا من يقول عنه انه « فقيه .. » وقد عاش تلك الحياة الفاسقة الطليقة .. حتى من قيود العلم والدين .. فابن خفاجة ليس بفقيه ولا بعالم : ولكنه شاعر يذوب عاطفة ويلتهب خيالاً ، شاعر طفل يفكر في يومه وحاضره قبل ان يفكر في غده : واما العلم فلاصحابه : اولئك الذين تعلموا ليملكوا بجدالهم « صدور مراتب ومجالس » .. واما الدين فلاهله :

واما هو .. فهو ينصحك ، ان لا تقف بطوال الكتب تبحث عن اسرارها فلست تحظى بغير الهم والحزن .. قال :

دن دين معتمل في الله مبتهل ... وعد عن سر علم ثم مختزن
ولا تقف بطوال الكتب تسألها ... فلست تحظى بغير الهم والحزنَ ...

هذا ابن خفاجة .. وهل خير ما يصف به نفسه هذه الابيات :

فانني والعفاف من شيمي ... آبى الدنايا واعشق الحسنا
قسوت بأساً ولنت مكرمة ... لم التزم حالة ولا سننا ...
كأنني غصن بانة خضل ... تثنيه ريح الصبا هنا وهنا ...

هذا ابن خفاجة : شاعر ملآن بالعواطف ، شاعر طفل يتخيل الوجود كما يريده ، يمكنني الآن ان قارنت بين قوة عاطفته وقوة عقله ان اقول انه عاطفة جياشة تكاد تقضي على العقل .. وخيال ملتهب يكاد يودي بالعاطفة اياً كانت .. وعلى كل حال تكفينا الآن هذه الاشارة لاتمام هذه الصورة العامة عنه : التي شرحنا فيها قصة حياته .. ولكن ترى الست اغضب ابن خفاجة ان اكتفيت بهذه الصورة العامة !! .. لانه هو لم يكتف بهذه النتف بل راح يدقق في كل نقطة من هذه النقاط التي رمز اليها : فوصف مكانه وزمانه ووصف لنا المجتمع وطبقاته . والظاهر انه وصفه متحاملاً او معتذراً عما قد جناه من اثم وذنب فوصف ذلك كله وجلس وراء لوائحه الجميلة يقول: «لا تلمني وحدي .. العصر كله مثلي .. ان كنت لا تصدق فانظر .. »

لعمري لو اوضحت في منهج التقى ... لكان لنا من كل صالحة نهج ...
فما يستقيم الامر والملك جائر ... وهل يستقيم الظل والعود معوج ؟.

.. انه يعزو فسقه وفجوره الى مجتمعه ، الى الملك الجائر ، الى الاخلاق المنحطة .. الى العصر كله .. فهل بنا ندرس هذا العصر فان وراءه في شعر ابن خفاجة ما يصفه وينصفه ..

دمشق — عدنان الذهبي

(١) – العبام العيي ، والكهام والجهام من لا خير فيه ..

فاتنة الوادي المعمور

*

حينما تقبلين آية الافراح ، كالأمل الحلو الى مأمن احلامي
حينما تقبلين كعرائس الشاطىء السعيد
حينما تنثرين على السهل غالي عطاياك
فلا تمرّي دون ان تبتسمي لأمهات حانيات على المهود
لا تمري ايتها البسمة العابرة
دون ان ترممي على كل شفة قبلة ... وعلى كل جبين آية جمال .

*

آه لك ايتها المهود المترجحة على انين موج زفوف
تحملين اشراق سعادة خضراء خضراء ، كسهول الفرات
تحملين في دفء الاجنحة الخافقة آهات جديدة للحياة
آه لك ايتها المهود
تضمين الى صدرك اشواق فلاح عجوز .. او ملاح بعيد
آباء ينتظرون الابناء ... اوبة حلوة على اجنحة الخيال

*

العيون الرمادية ، المظللة بأحلام زرقاء كليالي الصيف
العيون الملونة بالاشواق
ترجف على همل الدمع الصامت .. تبحث في بعيد الآفاق عن هناء مفقود
الشفاه المموهة بغرام الشفق الجريح
المموجة بدماء شمس غروب
تسبح عليها الانغام
وتنطفىء اثر تفتيرة حزينة صوت !

*

ايتها الشطآن الخالية الا من تناويح الصفصاف وبكاء الحمائم
المستوحدة بين اماسي الفرات واصباحه
تستقبلين نجوى النواعير و (عتابا) الفلاحين
وفي ندى الاصباح تغتسلين بالرشاش ينثره الفرات على اقدامك
هيه ايتها الشطآن الحالمة ، لشد ما تهوى النفس ان تكون ذرة يقعمها موجك الضاحك بالغناء ، او فنن صفصافة يلامس صفحة الوادي الحبيب

ما النظرة الخافقة في مسرى الانوار
المنحدرة من ذرة الكثيب اليك
الا تسبيحة صغيرة ، تنعتق عن هذا الفؤاد المشوق
تحمل صبوات العشاق والشعراء ، ومحبة القلوب الفيساضة بالجمال .
وفي هدأة السبل الموحشة ... عند انقطاع الارجل العابرة
وقفول جموع تعبة من الفلاحين
عندما تسكن الهمسة فلا تصبح في اذن الكون الا نسياناً وسكرا
في هذه الساعة من عمر القلب
سيكون هيامي فيك شمراً تتاوه الوديان والكثبان

*

ايه يا فاتنة الوادي المعمور ...
اطلي من خلال اغشية الضباب الفضي المسدول على جبينك الزاهر
وتملي مفاتن هذه الحدور الزاهية المنسحبة عن قمم التلال المشارفة
ثم متعي الطرف السكران بمشاهد اليوم الراحل
ها هي جموع الصبايا على امتداد السبيل آيبة الى الدفء والسلام
دعي الطرف يجول بعيداً بعيداً في الآفاق ...
هذه صبية يتوج رأسها -- زبيل -- يضم أتعاب اليوم المرمض الذي قضته في الصارة .
انظري الى وجهها الذي لوحته شمس نيسان ..
وجيدها المثقل بالقلائد الرخيصة كسنبلة الحقل ..
تعبث بها نسائم فجر وليد .

*

يا لجمال اهدابها السود .. تطبقها اثر نظرات كل مستطلع غريب
لعل احلاماً زاهية تطوف في رأسها الصغير اذ ذاك
ولعلها كانت تصغي لنقرات قرطها يوسوس في ظلام شعرها الاحم
ولعلها كانت تستمع في تلك الوحدة الشاملة الى نجوى بعيدة
تندى بالامل الحلو شفاهاً باون العناب
يا لجمال تلكم القطرات الزرق طافية على اديم وجهها المسفوع
كأنها محبة ام رمها الشوق على خد له حمرة الخوخ
او صدعات من قلب الليل الازرق ... نثرتها سماء زاخرة بالنجوم

عانات شاطىء الفرات — نوري الراوي

المرأة في مؤتمر سان فرنسيسكو

بقلم السيدة

اميلي فارس ابراهيم

كثيراً ما تثار قضية الانسان في هذه الحقبة الاخيرة من الزمن لتعالج بكليتها ، ويقوم بهذه المهمة الخطيرة قادة الديموقراطية العالمية بعد ان شاءت تطورات الاحداث او على الاصح طبيعة منطق سير الامور ان توكل اليهم امر القيام بها . ومن اجدر منهم بهذا الحق ، بعد ان ناضلوا نضالاً مستميتاً لقتل قوى التأخر التي كادت ان تقف سير الانسانية اجيالاً طوالا . ويعمل اليوم هؤلاء القادة على تأسيس مستقبل الانسانية . والعالم يعلم انه لا يمكن ان تقوم لهذا المستقبل اسس ثابتة صحيحة، من الوجهة التاريخية العلمية ، الا اذا كان يتفق مع ما وصلت اليه من تطور جملة العناصر المتفاعلة في قلب المجتمع الانساني . فالذين يوكل اليهم اليوم امر معالجة هذه القضية ليسوا على درجة واحدة من التطور الاجتماعي ، لذلك نرى ان مقرراتهم تأتي متفاوتة في قربها ، او بعدها عن الغاية الاخيرة التي تهدف اليها اكثر العناصر التي ذكرت ، وهذه الغاية هي اطلاق الانسان من كل القيود التي تحول دونه ودون استكمال انسانيته وتحقيقها .

وقد اتيح لنا ان نرى اثناء مناقشات مؤتمر سان فرانسيسكو بعضاً من المشتركين فيه يحاول تضييق مدى الخطوة التي كان يتحفز اكثر المؤتمرين لخطوها نحو الهدف المنشود ، علهم يبقون على قسم من الامتيازات التي تنعم بها اوساط معينة على حساب الغير . غير انهم لم يفلحوا كل الفلاح ولم يخفقوا كل الاخفاق . ولكن على الرغم من ذلك ، فان مقررات سان فرانسيسكو تعتبر في النهاية خطوة طيبة كان من الصعب ان يرجى اليوم اوسع منها خطوة .

والشيء البارز الذي كان يهيمن على جو مناقشات المؤتمر هي الصعوبات الجمة التي صادفها ذوو المناورات في سبيل الحد من نتائج المؤتمر الانسانية . ولم يجد شأنهم الدولي النفع الذي كانوا يرجون، فلمسوا لمس اليد تعذر البقاء لكل ذهنية تعمل على وقف سير ذلك التيار التقدمي العنيف الذي يدفع العالم باسره نحو مرحلة جديدة من تاريخ الانسانية فاضطروا في كثير من الاحيان الى تبني النظريات التي تقول بوجوب تحرر الانسان ليعطوا لمناوراتهم امكانية البقاء .

فالعبرة التي تنبثق ، ولا شك ، عن هذه الوقائع الراهنة هي ان كل محاولة للحد من حق الناس ، افراداً وشعوباً ، بالتمتع بثمرة هذا النضال الدامي الذي خاضه العالم كله من اجل الوصول الى ازالة الطغيان ازالة تامة ، ان كل محاولة من هذا النوع مصيرها الفشل .

ولم يعد بامكان العالم كله ان يتجاهل هذه الحقيقة الصاعقة ، وباتت كل الامم تعالج قضاياها الخاصة على ضوئها وتشد بمجتمعها نحو درجة من التطور لا يمكن لاي بلد، لم يبلغها بعد ، ان يلاقي له مكاناً في مجموعة الامم المتحدة

ومن جملة المشاكل الاجتماعية التي يجب على كل بلد حلها ، ليبلغ درجة التطور التي ذكرت ، هي مشكلة المرأة ، فقضية مساواة المرأة بالرجل اصبحت امراً واقعاً ، ولم يعد صحيحاً ولا ممكناً من الوجهة التاريخية تجاهل هذا الواقع او محاربته .

فقد ذكر ميثاق الامم المتحدة، اكثر من مرة ، بهذه الحقيقة، بنصوص صريحة لا تدع مجالاً للتأويل او الالتباس . فنص في الفصل الاول المتعلق باهداف الهيئة ومبادئها وفي القسم الثالث من المادة الاولى على ما يلي :

«٣» تحقيق التعاون على حل المشاكل الدولية ذات الصبغة الاقتصادية والاجتماعية والثقافية والانسانية واشاعة وتشجيع احترام الحقوق الانسانية والحريات الاساسية للناس جميعاً من غير تمييز بين الاجناس واللغات والاديان او تفريق بين الرجال والنساء .»

وتنص المادة التاسعة في القسم الثالث المختص بفروع الهيئة وتأليفها على ما يلي :

« لا تفرض الامم المتحدة قيوداً ما، تحد بها من اختيار الرجال والنساء المساهمة فيما تقوم به الفروع الرئيسية والثانوية من اعمال ، اياً كان نوعها ، وان يكون الرجال والنساء في ذلك سواء »

فشرعة الامم المتحدة التي وقعتها اثنتان وخمسون دولة ، منها لبنان ، وسوريا ، لم تعد تسلم بوجود اي فارق في كفاءة المرأة والرجل ، حتى في معالجة اهم الامور واكثرها خطورة ، كالاشتراك بنشاط الهيئة الدولية للامم المتحدة حيث أفسح المجال للمرأة والرجل على السواء لابداء نشاطها والمساهمة في وضع اسس عالم الغد .

وتنص المادة الثالثة عشرة ، في صدد ميثاق الهيئة العالمية

الامل الحائر

مهداة الى الطبيب الشاعر علي بدر الدين

امل عليه من الشعاع تألق ... ومؤمل فوق النجوم محلق
يتلقف اللذات من دفق الضحى ... ويكاد يعثر بالضياء ويزلق
ويمر من فوق السحاب كأنه ... قوس السحاب على المجرة ورق
يطوي الفضاء بزورق مقذافه ... جفن الضحى وعوده المتدفق
الدية السمحاء خيط شراعه ... وعلى سواريه العطاش المشرق

*

ما زال يطوي كل دارات القضا ... وعلى دروب اللانهاية يعنق
حتى اذا سئم الضياء وربما ... سئم الضياء الناظر المغرورق
عاف الفضاء ، عاد وهو مدله ... حيران لا يأسو ولا يترفق

*

ألف الظلام وبات في احشائه ... سر باهداب الزهور معلق
وعلى الجداول انة مشبوبة ... هي من حنايا اليم قلب يخفق

محمد فره علي

الجديدة . على ١٠ يلي = ٥ تنشىء الجمعية العمومية دراسات وتشير بتوصيات بقصد :

ا — انماء التعاون الدولي في الميدان السياسي وتشجيع الرقي المطرد للقانون الدولي .

ب — التعاون الدولي في الميادين الاقتصادية والاجتماعية والثقافية والتعليمية والصحية ومعاونة الناس جميعاً على بلوغ حقوقهم الانسانية وحرياتهم الاساسية من غير تمييز في الجنس والدين ولا تفريق بين الرجال والنساء . »

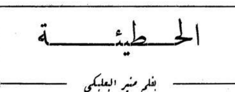
فيلاحظ انه في كل مرة اثيرت فيها قضية تأليف الهيئات العالمية للعمل في سبيل تطبيق اهداف الامم المتحدة ومبادئها ، ذكرت بوضوح مسألة تساوي المرأة والرجل وعدم الاعتراف باي فرق من حيث الكفاءة او امكانية اشتراك الطرفين بهذه الاعمال .

فقضية المرأة اذن خطت ، عالمياً ، خطواتها الاخيرة في سبيل تحقيق مطاليبها العادلة وهذه الخطوة قد جعلت قضيتها من ضمن المشاكل الاجتماعية الدولية . فهذا انتصار كبير لقضيتها اكسبها شرعية لم تكن تتميز بها من قبل ، وهذه الشرعية تخولها حق الاستناد الى شرعة الامم المتحدة في كل مرة يحاول فيها احد اقصاءها عن بعض ميادين النشاط الاجتماعي .

وقد باتت من قبيل تعمد الاسترسال في الضلال والتضليل ، محاولة الوقوف في سبيل سير الانسانية في اتجاهها الجديد خصوصاً بعد العبر الصارخة التي اعطاها الشعب البريطاني الى العالم اجمع في انتخاباته الاخيرة . وبذلك دليل بليغ على ان صفحة التاريخ التي دونت عليها المرحلة الشاقة الطويلة لنضال القوى التحررية في العالم ، هذه القوى التي ذاقت ما ذاقته من الردات الرجعية ، ان هذه الصفحة قد اختتمت بالانتصار النهائي للحركة التقدمية على القوى المحافظة حتى في معقلها .

وسيدون في مطلع الصفحة التالية من كتاب الانسانية تاريخ نقطة الانطلاق نحو عالم افضل ! ..

املي فارس ابراهيم



استاذ الادب العربي في المدرسة الاهلية ببيروت

•

مدخل

ـ ١ ـ

في(*) شعراء الجاهلية نفر قليل امتد بهم الاجل حتى ادركوا الاسلام، وقالوا الشعر فيه، كأبي ذؤيب الهذلي، والنابغة والجعدي، والخنساء، وحسان بن ثابت وكعب بن زهير، والحطيئة، وغيرهم، وهم يؤلفون طبقة في الشعراء وحدهم، هي طبقة المخضرمين .

ـ ٢ ـ

وقد اختلف العلماء في هذه الكلمة، وجوّزوا فيها ان تكون بالخاء المعجمة والضاد المعجمة،والحاء المهملة والضاد المعجمة، والحاء المهملة والصاد المهملة ، ولكنها باللفظ الاول اشد . وهي بهذا الاعتبار إما ان تكون من خضرم الناقة اي قطع طرف اذنهـا ، لان اهل الجاهلية لما دخلوا في الاسلام خضرموا ابلهم لتكون علامة لاسلامهم ان اغير عليها او حوربوا . واما ان تكون من خضرم العطية اذا قطعها ، لان مرتبة هؤلاء الشعراء نقصت في الاسلام ، او من قولهم ماء خضرم اي متناه في السعة والكثرة ، فكأنهم وقد شهدوا الجاهلية والاسلام استوفوا الامرين . وكذلك اختلفوا في صيغتها ، فقال بعضهم انها على اسم فاعل أخذاً بالمذهب القائل ان اصل الكلمة من خضرم اذن النـاقة اي قطع طرفها فهو مخضرم، وقال بعضهم انها على اسم المفعول وتأويله عندهم ان المخضرم قطع عن الكفر الى الاسلام . وفي تاج العروس عن ابن بري ، ان اكثر اهل اللغة على انه مخضرم بكسر الراء(١) .

هذا من الوجهة اللغوية الخالصة . اما من الوجهة الاصطلاحية فقد اشترطوا في المخضرم ان يكون ادرك الجاهلية والاسلام وقال الشعر فيها ، ولذا لا يعد لبيد مخضرما ، وذهب بعضهم الى ابعد من ذلك فشرط في شعر المخضرم ان يكون اثر الاسـلام فيه ، وبذلك يخرج الخنساء من هذه الطبقة، على قولها الشعر في العصرين، لبقاء صبغة الجاهلية في شعرها .

ـ ٣ ـ

هذا الشعر المخضرم ، اذن ، قيل بعضه في الجـاهلية ، وقيل بعضه في الاسلام . فاما ما يرجع منه الى الجاهلية فنحن نقف منه موقفنا من الشعر الجاهلي بعامة ، نصححه اصلاً (اي نعتبره صحيح النسبة) ، دون ان يكون في ذلك ما يحملنا على ان نضعف من اثر النحل والاضطراب فيه ، اما ما قيل من هذا الشعر في الاسلام، فموقفنا منه غير هذا . فليس من شك في ان الشعر الاسلامي بعامة، اصح من الشعر الجاهلي بعامة، لانه اقرب الى عصر التدوين . وليس يعني هذا ان شعر المخضرمين قد سلم من وضع الرواة ، فالرواة قد حملوا على هؤلاء المخضرمين كما حملوا على زملائهم من الجاهليين ، ولكن الوضع هنا اقل . اما الحطيئة بخاصة فيذهب طه حسين الى ان المنحول من شعره كثير ، وعنده ان كثرة مـا يضاف اليه في مدح بني قريع وهجاء الزبرقان بن بدر محمول مصنوع ، لا يكاد يصح منه الا قصيدتان هما السينية

واللهِ ما معشر لاموا امرءاً جنبا   في مدح لاي وشماس باكياس

والدالية(١)

الا طرقتنا بعدمـا هجعوا هند   وقد سرن خمساً واتلأب بنا نجد

ولا نحتاج الى اظهار وجه الغلو في هذا المذهب .

ـ ٤ ـ

واذ كان الشعر المخضرم تتمة وامتداداً للشعر الجاهلي ، فقد كان جديراً ان يجيء ، كهذا الشعر الجاهلي جزلاً ، شديد الاسر ، تقرأ فيه سذاجة البادية ، وتستروح عبقها . هذا في الجملة . اما ما قيل منه في الاسلام فأثر القرآن والتعاليم الجديدة واضح فيه، يظهر في كثير من الفاظه وصوره الاسلامية، ويظهر في هذه الرقة التي تغلب على نسيجه ، وفي خلوه – الا نادراً – من بعض الاغراض الشعرية المعروفة لعهد الجاهلية ، كالخمرة والغزل الفاحش ، والهجاء الفاحش .

ولم ينج الحطيئة نفسه ، على رقة اسلامه ، من تأثير الحياة الجديدة . ولكنه ، على كل حال ، يظل اقل المخضرمين تأثراً

(*) فصول من كتاب جديد يعده الاستاذ منير البعلبكي عن هذا الشاعر الفذ ، ننشر بعضها اليوم على ان نتبعها ببعضها الآخر في اعداد تالية .

(١) راجع كتاب الادب العربي وتاريخه للاستاذ محمود مصطفى ج ١ ص ١٠١ .

(١) طه حسين ؛ في الادب الجاهلي ، ص ٣٢٨ .

بالاسلام، بمعنى انه عاش في هذا العهد حياة جاهلية او شبه جاهلية، بعيدة كل البعد عن المُثل الاسلامية، فهو يتعرض للناس، يسألهم بالحاف، ويهجوهم هجاءً مؤلماً، في تلطف اقتضاه الاسلام، على ما سنرى بعد.

عصره وبيئته

— ١ —

عاش الحطيئة دهراً طويلاً امتد على نحو المئة عام، بعضهـا في الجاهلية، وبعضها في الاسلام. فشهد بذلك عصراً من اكثر العصور خطورة في تاريخ العرب. ففي المدة الجاهلية من حيـاة الحطيئة كانت الامة العربية تمر في دور من ادوار تكوينها القوي، وتخضع لالوان من التطور العقلي والاجتماعي توجت آخر الامر بظهور الاسلام، وما حمله الى دنيا العرب مـن انقلاب عظيم كان له من النتائج ما لا نستطيع الاحاطة به في هذا المجال. فتقوضت دعائم الوثنية الجاهلية، ليحل محلها دين يأمر اول ما يأمر بالوحدانية، ونسخت المثل الجاهلية في الاخلاق والاجتماع، وحررت العقـول بهدي القرآن الكريم الذي دعا الى التبصر في الكائنات، ورُبط العرب برباط من الاخوة الاسلامية وثيق، قضى ولو موقتاً عـلى العصبة الجاهلية المتمثلة في الفردية القبلية والتنـاحر الاجتماعي والسياسي. فاذا العرب المتنابذون امة من نوع آخر، تخرج من جزيرتها، حاملة لواء جديداً، ورسالة لم تكن، فيها من معـاني الايمان، والمحبة، والتفاني، ما ضمن للعرب الغلبة على امبراطورية الفرس وامبراطورية الروم.

— ٢ —

لزم عن الاسلام اذن ان خرج العرب من الجزيرة الى العـالم الفسيح، يقتحمونه بالعقيدة والقوة. فهم الآن اغنياء من فضل الله، يتدفق عليهم الفيء من الامصار المفتوحة، وكانوا من قبل فقراء قد يبحثون عن الماء فلا يجدونه. ويتنـازعون البقعة الصغيرة من الارض لا لشيء الا لانها معشوشبة. وهم الآن اصحـاب دولة وسلطان تتزلزل من تحت اقدامهم الارض، وتتقلقل الاجيـال، وكانوا من قبل رعاة او فوق الرعاة تستعملهم الدول متاريس تدرأ بها الاعداء، او وقوداً تلقى فيه النار اتأكله قبل غيره، في الحيرة والشام. وقد افادهم ذلك كله تعرفاً بحضارات جديدة نقلوا عنها كثيراً، واقتبسوا منها كثيراً، فتطوروا، كما يقول ابن خلدون، بطور الحضارة تطوراً عجيباً، لم يتم لهم منه، لعهد الشـاعر، الا مقدمات.

— ٣ —

وليس من شك في ان الحطيئة قد تأثر كثيراً بهذه الحيـاة الجاهلية التي عاشها العرب قبل الاسلام. فهو بدوي جلف، مادي في نظرته الى الحياة، وهو جافي الطبع، نفور، كثير الشر قليل الخير، اذا استعرنا لغة الاصمعي. وليس يعني هذا ان الجـاهليين كانوا كلهم كذلك، ولكنه يعني ان الحطيئة تأثر بالجاهلية تأثراً سلبياً يكاد يقف عند سيئاتها، دون محاسنها. فلسنا نجد فيه مثلاً طموح امرىء القيس، وعزة طرفة، وتعقل زهير، وكلهم جاهليون مثله. بل قد يجمع في نفسه نقائض هذه الصفات، فهو ساقط الهمة، دنيء النفس، طياش اثيم، مضطرب في الارض يتنقل من مكان الى مكان. ثم انه قد تأثر بظاهر الحياة الجـاهلية البارزة، فهي تبدو في شعره الجاهلي، بل في شعره كله، في هذا النفس البدوي الخالص الذي يغمره، وفي هذه المعاني الجاهلية التي تتواتر في اكثر قصائده من وقوف على اطلال الديار، وحنين الى الاحبة، ووصف للظعائن والنياق.

كذلك تأثر الحطيئة بالاسلام، وان كان هذا التأثر ضعيفاً، كما اشرنا، لا يكاد يبدو ليناً في اللفظ بتأثير القرآن الكريم، وتجديداً في المعاني بتأثير من تعاليم القرآن ايضاً، في مثل قوله:

من يفعل الخير لا يعدم جوازيه ... لا يذهب العرف بين الله والناس

— ٤ —

ونشأ الحطيئة في بني عبس نشأة وضيعة في جو عائلي فاسد، بعيد كل البعد عن ان يشيع في نفسه معنى من معاني الرجولة الحقة. فهو ابن أمة، من رجل ما كان اول الامر يعرفه حق المعرفة، فهو يبحث عن هذا الوالد الذي يجهل، ويسأل عنه امه، فتخلط عليه القول. ثم يظهر ان اباه هو اوس بن جؤية العبسي. وكان أباً لولدين من امرأة حرة، ينتهي نسبها الى بني ذهل. فلا شك كان اوس هذا بعيداً عن ان يتعهد الشاعر الطفل، ولا شك كان على هذين الولدين اللذين لأوس ان يثيرا في نفس اخيهما (الحطيئة) اقبح عواطف الحسد والحقد. وبذلك ترك لامه التي تزوجت بعد من رجل ولدت منه اخوين جديدين زادا هذه العواطـف حدة واضطراماً.

منير البعلبكي

اوربا تجوع ... ولكنها مجاعة فحم

ليس من السهل تقدير قيمة الاضرار التي نزلت بالقارة الاوروبية من جراء الحرب . وستكون احدى المشاكل الخطيرة التي ستواجه اوروبا في الاثني عشر شهراً القادمة افتقارها الى الفحم الحجري افتقاراً شديداً لن يعوق استئناف النشاط الصناعي فيها فحسب ، بل قد يترك سكان كثير من المدن بدون مقادير كافية من الوقود الضروري للشتاء القادم .

لم تكن القارة الاوروبية ، بمجموعها ، تكتفي بنفسها من الفحم الحجري قبل الحرب ، ولكن عجزها الاجمالي لم يكن كبيراً ، وكانت انكلترا هي التي تسد هذا العجز الذي كان يزداد وينقص من سنة الى اخرى . ففي عام ١٩٣٥ ، وهو العام الذي اختارته عصبة الامم للقيام باحصاءات لتجارة اوروبا ، استوردت القارة ٢١ ونصف مليون طن من الفحم ، او ما يعادل ٧ ٪ من استهلاكها المقدر بـ ٣٠٠ مليون طن . وكانت المانيا وبولونيا البلدين الوحيدين اللذين يفيض الفحم عن حاجتهم فيصدرانه ، فقد اصدرت المانيا نحو ٤٠ مليون طن سنة ١٩٣٧ ، واصدرت بولونيا ١١ مليوناً .

اما بلجيكا وهولندا فقد كانت كل منها تصدر اكثر من ٤ ملايين طن ، ولكنهما كانتا تستوردان ما يقرب من هذه الكمية من انواع اخرى من الفحم . واما فرنسا فقد كانت تنتج منه مقادير عظيمة تبلغ ٤٥ مليون طن ، ولكنها كانت تعتمد على ما تستورده من كمية تعادل خمسي احتياجها على وجه التقريب .

ومع اننا ندرك ان انتاج اوروبا من الفحم سيكون هذا العام من الهزال بمكان ، فان الحقائق عن قدرتها على هذا الانتاج لا تزال في الوقت الحاضر مجهولة التفاصيل .

وقد يكون من المفيد ، عند القيام بأي درس للوضع الحاضر ، ان نفرق بين الاراضي الاوروبية التي يحتمل ان تقع ضمن دائرة النفوذ الروسي مباشرة ، وبين سائر اجزاء اوروبا . ففي هذه الاراضي وجدت الجيوش الروسية مناجم الفحم في سيليزيا كلها قد بلغ معدله السنوي ١٠٠ مليون طن عام ١٩٤٤ ، وهذا الرقم يضم انتاج مناجم بولونيا وتشكوسلوفاكيا ، وسيليزيا الالمانية العليا سابقاً . ولكن مهما كان الانتاج في هذه المناطق طيباً في الاثني عشر شهراً المقبلة ، فان ما يفيض عنها للتصدير لا يحتمل ان يعادل خسارة روسيا في انتاجها نتيجة الفيضان ، وتخريب مناجم دونباس .

وبكلمة اخرى ، فان روسيا قد تكون بحاجة ماسة الى قسم كبير من الفحم الذي تستطيع الحصول عليه من مناجم سيليزيا ، مع ان الكمية التي يمكن نقلها شرقاً ستكون محدودة بالنظر الى عوامل النقل ، وقد يتبقى قليل من فحم سيليزيا لسائر البلدان .

وعدم وجود الفحم البولندي في اسكندنافيا واوروبا الغربية والجنوبية ليس من الاهمية بمكان كبير اذا بقيت سائر المناجم التي تصدر الفحم اليها سالمة من كل تلف . ولكن هذه المناجم قد نزلت بها اضرار كبيرة ، ففرنسا لا ينتظر ان تنتج اكثر من ٣٠ مليون طن هذه السنة ، اي ما يعادل ثلثي ما استخرج منها عام ١٩٣٧ ، وبلجيكا لا تكاد تنتج نصف معدل انتاجها السنوي الذي كان يبلغ ٣٠ مليوناً من الاطنان قبل الحرب ، وهولندا هبط المعدل السنوي فيها الى ثلث ما كانت تنتجه عام ١٩٣٧ ، اي ١٤ مليون طن . ولقد استردت فرنسا معظم مناجمها في حالة سليمة . وكذلك لم تصب مناجم بلجيكا وهولندا بأضرار خطيرة . ولكن الصعوبات العظمى التي تهدد هذه البلدان الثلاثة هي النقص في الايدي العاملة ، أولاً ، وفي الادوات والمعدات ثانياً ، ووسائل النقل ، وخصوصاً في هولندا ، ثالثاً . ويجب ان نذكر ان وسائل النقل ضرورية لا لنقل الفحم فحسب ، بل لجلب المؤن والذخائر الى المناجم ، وخصوصاً ما يلزمها من دعائم . ومع ان مشاكل الانتاج في فرنسا اقل خطورة منها في بلجيكا وهولندا ، فانها لا شك خطيرة . لقد تدنى عدد العمال فيها من ٢٤٥ الفاً في آخر عام ١٩٣٧ الى ٢٠٥ آلاف في اوائل شباط الماضي . وحدث معظم هذا الهبوط في الصيف المنصرم ، اثناء تحريرها وبعده ، عندما ترك عدد كبير من عمال المناجم اعمالهم ليلتحقوا بالقوى المسلحة ، او سعياً وراء اعمال اخرى . اما في بلجيكا وهولندا فقد كان التدني في عدد العمال من الخطورة على جانب اعظم . ولقد لوحظ ايضاً هبوط في معدل الانتاج الفردي منذ عام ١٩٣٨ ، بلغ في فرنسا الى الخمس ، ومال معدل الغياب ايضاً الى الارتفاع ، كما ان سوء التغذية هو احد العوامل الرئيسية التي أدت الى الهبوط في الانتاج .

وتدل التقارير الاولية الواردة من مناجم المانيا الغربية ، التي كانت تنتج قبل الحرب ما يزيد على ١٦٠ مليون طن ، على ان اعمال التخريب ليست من الهول كما كان من المنتظر ان تكون . فمناجم

السار تكاد تكون سليمة كلها، ولو ان بعض معداتها قد عطبت، وبعض ذخائرها ومستودعاتها قد نهبت. ولكن القسم الاكبر من عمالها قتل. وتقول التقارير ايضاً ان المعدل السنوي للانتاج في الوقت الحاضر لا يكاد يبلغ مليوناً من الاطنان، في حين انه زاد على ١٦ مليون طن في السنة المنتهية في آذار ١٩٤٤، و١٤ مليون طن عام ١٩٣٨. وتكاد تكون الحالة الى الجهة الغربية من الرين شديدة الشبه بما هي عليه في المانيا الغربية. وفي منطقة الروهر نفسها، التي كان انتاجها السنوي السابق يقارب الـ ١٣٠ مليون طن، كانت اعمال التخريب اوسع وأشد. ولكنها لم تتعرض الى ذلك النوع من التخريب المنظم الذي اصاب روسيا. وبالاضافة الى التخريب المادي الذي شمل كثيراً من مساكن عمال المناجم، فلقد ارتحل عدد كبير منهم، وخصوصاً من المساجين او الذين اتي بهم مكرهين من سائر البلدان للعمل في المناجم. والتحقيقات التي اجريت على الفور في المانيا الغربية لم تستكمل بعد، الا انه يرجى ان يكون انتاجها، في المستقبل القريب، اكثر من عشر متوسطه قبل الحرب، او اكثر من ربعه في الشتاء القادم. اي ان مجموع ما يرجى انتاجه من الفحم في الاثني عشر شهراً القادمة في المانيا الغربية يقرب من ٣٠ مليوناً من الاطنان، بما فيها انتاج آخن وكولوني، الذي كان ٢٠ مليون طن من الفحم الحجري العادي، والفحم الحجري الاسمر، قبل الحرب.

وقد تحتاج جيوش الاحتلال الحليفة الى قسم عظيم من هذه الكمية، مع ان مناجم الفحم الاسمر في المانيا الوسطى، التي يقال ان انتاجها السنوي يبلغ ٣٠ مليون طن، ستكون تحت تصرفها. وبالاضافة الى صعوبات النقل، ان تتمكن سائر اجزاء اوروبا من ان تستورد من الفحم الالماني الا قليلاً.

ستكون وضعية اوروبا فيما يتعلق بالفحم وضعية لا تحسد عليها. فلن تتمكن روسيا من ان تعوض عن كامل خسارتها بما ستحصل عليه من مناجم سيليزيا، ولو ان هذا التعويض سيكون عظيماً الى حد بعيد. وكذلك فقد يكون على اسكندنافيا، واوروبا الغربية والجنوبية أن تستغني عن الـ ١١ مليون طن من بولونيا، وان تحصل بأي حال على اي جزء من الاربعين مليون طن التي كانت تستوردها قبل الحرب من المانيا، واكثرها من الروهر. وفوق هذا فان القارة، بسبب هبوط الانتاج المستمر في بريطانيا العظمى، لن تستطيع ان ترجو الحصول على العشرين مليون طن، التي كانت تصدرها اليها بريطانيا قبل الحرب. وفرنسا، اذا لم تستورد الفحم من الخارج، لن يكون لديها الا ثلثا ما كانت تملك قبل الحرب، وكذلك فانها اذا ارادت ان تحافظ على قوى النقل، وان تبقي على المصالح العامة الضرورية، فلن يبقى للصناعة من الفحم الا القليل، اي ما لا يزيد كثيراً عن ربع استهلاكها قبل الحرب، ويكاد لا يبقى شيء لتدفئة المدن في الشتاء. وان يكون في هذا تأخير لاستعادة النشاط الصناعي فحسب، بل قد يؤدي ايضاً الى نتائج سياسية خطيرة. وكذلك فان مشاكل كبرى كالتي ذكرنا ستواجه البلدان الاخرى، كبلجكا، وهولاندا، وسويسرا، والسويد.

ولا يستطيع المرء ان يرجو هذه السنة خيراً. فالاجراءات الصارمة ستكون ضرورية، ولو انها لن تجنب القارة الحاجة الماسة الى الفحم. وقد تتخذ التدابير لعلاج هذا النقص ثلاثة اشكال: ففرنسا وبلجكا وهولاندا اولاً، عليها ان تركز جهودها في الاسراع في الانتاج وزيادته، وهذا يعتمد، الى حد بعيد، على اليد العاملة. ففرنسا، مثلاً، تحتاج الى اكثر من ثلاثين الفاً من عمال المناجم لرفع مستوى انتاجها الى ٤٢ مليوناً من الاطنان، وهو ما توصلت الى انتاجه عام ١٩٤٣. وليس النقص في عمال المناجم مشكلة تواجه القارة فحسب، بل انها تكاد تنتشر في كل بلد يستخرج الفحم. ولهذا فان الاقبال على العمل في المناجم يمكن ان يزداد عن طريق الاغراءات المالية، والمعاملة الحسنة. ويمكن ايضاً استخدام المساجين في العمل في المناجم. واما فيما يتعلق بالنقص في الادوات والمعدات والذخائر، فيمكن ان تطلب مساعدة بريطانيا، واميركا على نطاق اوسع.

والشكل الثاني الذي تتخذه التدابير لمعالجة النقص في الفحم هو تأليف مجلس حليف لشؤون الفحم، ليؤمن اتساع الانتاج في مناجم المانيا الغربية. وبما انه من المستحيل ابدال المساجين والمنفيين في مناجم المانيا، فمن الضروري ان يحل محلهم عمال المانيون، لا بد ان تكون اكثريتهم الآن في معسكرات الاعتقال. ويجب أن تصلح جميع الاضرار المادية باسرع ما يكون من الوقت، على ان تصلح ايضاً منازل العمال انفسهم. ويمكن ان توزع الكميات المتوفرة من الفحم في المانيا الغربية حسب الحاجة، وان تعطى الافضلية الى الجيوش، والبلدان الحليفة المحررة.

وثالث الاشكال هو ان يعمل على استيراد الفحم الى القارة، طالما ان الجهود لزيادة الانتاج لن تجنبها نقصاً هائلاً في الفحم طوال هذا العام. ومع ان انكلترا لن تستطيع ان تستغني عن كثير من

دمعتي الاولى في لبنان

بقلم يوسف داود
سكرتير نادي لبنان بالقاهرة

في عام ١٩٣٠ زرت لبنان بصحبة والدي وكانت تلك اولى مشاهدتي له . اما والدي — رحمات الله عليه — فقد كان لزيارته لون آخر يختلف كل الاختلاف، انها عودة المهاجر الى الوطن بعد غياب اربعين عاماً . ان اولئك الذين اتيح لهم يوماً ملازمة المهاجر اللبنـاني قبيل العودة الى الوطن هم وحدهم الذين نعموا بتذوق مـا في هذه العبارة من جلال وروعة . وما كنت احسب قبل هذه الزيارة ان هذا الوالد الذي لم تستطع احداث الحياة، حلوها ومرها ان تهز مشاعره ، ينقلب عشية اعتزام السفر الى طفل مرح ، اشد ما يطربه امل ان سيسعد في الغد برؤية لبنان . وتحقق الامل وكتب لنا ان نشاهد لبنان ، وبدا لي لبنان الحبيب اجمل صورة مما رسمه لي الخيال واروع وصفاً مما تغنى به الشعراء : لامارتين والملاط وغانم . اما والدي فلم يطربه كل الطرب ان يرى لبنان على صورة تغاير عهده به منذ نصف قرن . لقد اودع ذكريات الطفولة والصبـا بين تلك الاحياء والمعالم فاذا به يراها اليوم قد اندثرت فطوت معها ذكريات الصبا الحبيبة الى القلب . واول ما عرجنـا على تلك القرية ، قرية ابي حيث ولد وترعرع . كان قلبه طافحـاً بالبشر انتظاراً لرؤية الاهل والاصدقاء ، فاذا الاهل غير اهله واذا اصدقاء الطفولة البريئة قد تفرقوا فهجر بعضهم الوطن وانتقل بعضهم الى سكنى القبور .

وهناك في مكان قصي من القرية حيث تمتد اشجـار باسقة تظلل الصلبان الخشبية الخالية من الصنعة والتنميق ركعت بجانب والدي وترحمنا على من رقدوا بالرب ... سبحـان من يغير ولا يتغير .

*

« الى اين يا والدي العزيز » ؟ ... « الى سوق الفشخـة يا ولدي » .

الفحم للتصدير ، فان حاجة القارة الى الفحم هي من الشدة بحيث انها ترحب بأية كمية منه مهما كانت صغيرة . وسيكون مـن المؤسف ان تقف انكلترا مكتوفة اليدين ، عاجزة عن مد يـد المعونة الى البلدان التي كانت قبل الحرب احسن زبائنها وتستطيع افريقيا الجنوبية ، التي هي اليوم ثاني البلدان المصدرة للفحم ، ان تزود القارة بهذا الوقود ، كما انه ليس من شك في ان الولايات المتحدة تستطيع ان تصدر منه الى القارة اكثر من اية دولة اخرى . فقد انتجت الولايات المتحدة في السنة المنتهية في ٣١ آذار لا اقل من ٦٢٠ مليون طن من الفحم الحُمَري Bituminous coal ، اي بزيادة خمسي انتاجها عام ١٩٣٨ . والحق ان اميركا كانت بحاجة الى هذا الفحم كله لتحقيق برنامج انتاجها الهائل ، وفوق هذا فقد لجأت ، في الوقت نفسه ، الى سحب ما لا يقل عن ١٤ مليون طن من الفحم المدخر . الا ان انتاجها لا يزال يميل الى الهبوط هـذا العام ، والسبب الاكبر في هذا النقص في اليد العاملة ؛ ففي الربع الاول من هذه السنة نقص الانتاج ١١ مليون طن عما كان عليه في المدة نفسها من السنة الماضية . وقد اشار المستر هارولد ايكس ، مدير الزيوت الجامدة ، يوم ٩ نيسان الى ان الولايات المتحدة تواجه هذا العام نقصاً ، وان وقف القتال في اوروبا « لن يحل مشكـلة الفحم » . ويبدو لاول وهلة ان مساعدة الولايات المتحدة في اصدار الفحم للقارة لن تكون ذات جدوى كبير ، ولكن قد يكون من الممكن ، اذا اقتصد في الاستهلاك ، ان يبقى شيء من الفحم ، ومن زيت الوقود ايضاً ، للتصدير الى القارة . ان ١٨ مليون طن من الفحم ، اي ما يساوي ٣ ٪ من انتـاج اميركا ، ضرورية لاوروبا كي تتجنب ذلك الشلل الاقتصادي المستمر ، وتزودهـا بأدنى كمية تحتاج اليها للتدفئة في الشتاء القادم .

فاذا اتخذت بلدان أوروبا الغربية الاجراءات الضرورية لزيادة انتاجها من الفحم ، واذا عمل المسؤولون على الاسراع في استخراج الفحم في مقاطعتي السار والروهر، فان مورد الفحم في عام ١٩٤٦ ، ولو ظل ضئيلاً ، يجب ان يكون كافياً لسد الحاجة الى الحد الادنى . ستكون المهمة صعبة ، وخصوصاً فيما يتعلق بالحصول على عمـال المناجم ، ولكن في مناجم اوروبا من الفحم ، دون شك ، كثيراً جداً بحيث يستطيع ان يفي بحاجاتها لاجيال عديدة .

وسرت خلفه على غرار ما كان يفعل، يداي متشابكتان خلف ظهري شأن الجندي يتبع قائده الى حيث لا يعلم ولكن في ثقة واطمئنان. وكانت المسافة التي تباعد ما بينه وبيني لا تتعدى خمسة امتار ولكني كنت حريصاً على الا اتعداها حتى لا اشعره اني معه فاعكر عليه صفو تأملاته وانا اعلم انه يبحث عن آثار ذلك الماضي الذي فقده الى غير رجعة.

ترى! ما الذي يرجوه من الوقوف من آن لآخر والتطلع الى العناوين المثبتة على واجهات المخازن والمحلات؟ وما الذي يعنيه بدخول بعضها سائلاً مستوضحاً حتى اذا غادرها بدت على ملامحه آثار حزن مكتوم؟ انه ولا شك يبحث عن صديق من الاصدقاء القدماء ليستعيد واياه ذكريات عهد هيهات ان يعود.

وقطعنا السوق كله دون ان يهتدي الى ضالته. وعز عليه ان تخيب آمال له عزيزة فتمهل ووقف في نهاية الطريق والقى نظرة عاجلة على السوق ثم اخفى وجهه عني حتى لا ارى تينك الدمعتين اللتين جرتا على خديه. ولكنني احسست بهما قبل ان الحهما. وكأنه خشي ان اطلع على ما ارتسم من لواعج الالم والحزن على ذلك الوجه الذي لم تستطع اشد المآسي وابهج المسرات ان تخط لها ظلالاً على وجهه، فاسرع الخطى وانا في اثره وصاح دون ان يدير وجهاً الي: «اسرع يا بني لقد حان وقت الغداء» ولم يكن وقت الغداء قد حان بعد، لكنها عزة النفس ابت ان تذلها دموع لم تجر بها قبل اليوم مآقي ذلك الرجل الذي كنت ادعوه والدي.

*

ومرت الايام سراعاً وترفق الثرى فضم في جوفه والدي كما ضم اليه احباءه بالامس.

وعدت الى لبنان قبيل اعلان الحرب في عام ١٩٣٩ ولكن بشعور آخر يختلف عن سابقه. انه مزيج من الفرح والحزن ومن التهيب والوحشة. ترى! ألست في ارض لبنان الذي كنت في ما مضى ارى كل ما فيه اجمل من ان يوصف؟ فما الذي تغير فيه اليوم!... لم يتغير فيه شيء، وانما انا الذي تغيرت. ان ذكرى ذلك الحادث الذي مضى عليه تسع سنوات لم تزل ماثلة امامي كأنها من حوادث اليوم، ولم يقو مرور الزمن على محوها. لقد انطبعت في الذاكرة واستقرت صورتها في النفس. ولم اكد استنشق هواء لبنان حتى شعرت بدافع لا سبيل الى رده، ان احج الى تلك البقعة التي زرتها يوماً بصحبة اعز عزيز عندي. وفي صبيحة اليوم التالي لوصولي سرت وحيداً في تلك الطرق نفسها، لا الوي على شيء، اتطلع ذات اليمين وذات الشمال الى واجهات المحلات مثلما كان يفعل الراحل الغالي حتى انتهيت الى ذلك المكان المقدس الذي بكى فيه والدي من قبل. نعم هو المكان بعينه، لم اخطىء التقدير على طول عهدي بالزيارة لان روحاً خفية ارشدتني اليه. واحسست وانا اركز نظري وعواطفي في تلك البقعة ان حافزاً خفياً يدفعني الى اظهار عرفاني لجميل هذا الحيز من الارض. اني مدين لهذا الحيز لان دموع والدي التي سقطت على ارضه قد روت قلبي بحب لبنان. وهممت بالركوع حيث انا وتقبيل هذه البقعة ولكن الحركة الصاخبة منعتني من ان ارسل النفس على سجيتها. وحاولت عبثاً ان اكتم فيض الشعور الذي تملكني في تلك اللحظة ولكنه انفجر على الرغم مني دموعاً حارة لم يخف امرها على المارة فاقترب مني احدهم وقال: «اعزيزاً تبكي يا بني! صبرك الله وزاد ايمانك». ولم تكن بي حاجة الى مزيد من الايمان لان نفسي كانت عامرة به منذ زيارتي الاولى للبنان. انه ايمان راسخ بحب لبنان لا يتطرق اليه شك او ضعف. واذا كان حب الوطن من الايمان فان حبي للبنان في قوة الايمان عينه.

ومن ذلك الحين آمنت بان علي رسالة اؤديها وقد آليت على نفسي ان اعمل جهدي مع العاملين لاعزاز اسم لبنان في وادي النيل العزيز.

وها انا اليوم، وقد عدت الى لبنان لاول مرة بعد اعلان الحرب، جالس في حديقة فندقي الهادىء الجميل اجتلي بعض محاسن جنة الله في ارضه فاحاسب نفسي ماذا فعلت وكم اديت من الرسالة فيطيب لي ان اذكر مؤسسة عزيزة في القاهرة، هي نادي لبنان الذي ساهمت في تأسيسه وتدعيم اركانه لكي يؤدي يوماً رسالته نحو وطن الآباء والاجداد. حقاً لقد وفي هذا النادي بالعهد وكان الوفاء صادقاً وفيا، وحسبه من حوادث الماضي القريب شواهد ناطقة ان جف عليها المداد في سجلات النادي وبطون الصحف المصرية فلم تجف في قلوب شاهديها طلاوة ذكراها.

وما زلت واخواني في مصر عند العهد الذي قطعنا، ان نواصل السعي، ما بقي لنا في فسحة العمر، لاتمام الرسالة على الوجه الذي تصبو اليه نفوسنا، رسالة توثيق العلاقات العديدة التي تربط منذ فجر التاريخ القطرين الشقيقين ووطني الحبيبين مصر ولبنان.

القاهرة يوسف داود . المحامي

الحقيقة الكبرى

الى توفيق الحكيم

*

المشهد الاول

« قمر يدخل وشهرزاد مكبة على الديوان العريض وداخلة في تأمل عميق »

شهرزاد !

(شهرزاد)

مَنْ ؟

(قمر)

جئتُ !

(شهرزاد) ليتكَ ما جئتَ !

(قمر) لماذا ؟

(شهرزاد)

الطيفُ أحلى ارتيادا !

(قمر)

شهرزاد ! !

(شهرزاد)

هي الحقيقة يا حبي !

(قمر) ولِمْ جاءت ؟

(شهرزاد) لا تسلني ازديادا

ان طيفَ الحبيب اجملُ منه ودُنى الوهم ، ما تملّ حصادا !

(قمر)

فيمَ بدّلتِ ؟

(شهرزاد)

لم أبدل سوى قلبٍ يملّ الحياة « شيئاً » مُعادا !

(قمر)

أأنا « الشيءُ » ؟

(شهرزاد)

بل اردتكَ « شيئاً » خالداً !

(قمر) كيف ؟

(شهرزاد) ان تشطّ ابتعادا !

(قمر)

استُ أستطيعُ !

(شهرزاد)

فلتزُرني طيفاً !

(قمر) وخفوقُ اللقاء ؟

(شهرزاد) هَبْهُ حصلْ !

(قمر)

ودُنى الحب؟ والحديثُ؟ وقوتُ اللحظ؟ والمسكرات؟ والـ . . ؟

كيف احظى بكل هذا خيالاً كيف يرضى، إن أرضيت، الامل

نحنُ – اهلَ الغرام – يُدفئنا الوعد ! ففي وهمه نغذّي الاجلْ !!

(شهر زاد)

ثم تزوّدْ !

(قمر)

وبعدُ ؟

(شهرزاد)

أقصرْ !

(قمر)

هبيني لا أطيق البعادَ ؟

(شهرزاد)

القلب ملّ

(قمر)

ملّ مني ؟

(شهرزاد)

لا . . . من حقيقتكَ الشوهاء !

(قمر)

ماذا ???

(شهرزاد) لقد خبوتَ ، جميلا

كلنا عاش في الحقيقة والوهم ، لحسبي ، لقد مللتُ الرتيبا !

إنْ تكن نائياً ، أحبك اضعاف غرامي إن كنتَ مني قريبا

(قمر)

شهرزاد ! ! . . .

(شهرزاد)

لن تُجديَ الصرخة الكبرى !

(قمر)

أأمضي ؟

(شهرزاد)

نعم !

(قمر)

وداعاً !

(شهرزاد)

وداعا !

دمشق — زهير ميرزا

الكشفية والتعاليم الاخلاقية

بقلم بيير بوفيه

ترجمة رشيد شقير

☆



اردنا ان نربي في الانسان الشعور بالواجب كان علينا ان نهيء له مجموعة التعاليم الاخلاقية التي ينشأ عليها الطفل او الفتى المراهق. وهذا ما تنبهت اليه الكنيسة فكرست لارادة الله ومشيئته مكانة ظاهرة في عظاتها الدينية، ووعاه كذلك بادن باول عندما رفع « شريعة الكشاف » الى المقام الاسمى في كتاب ارشاداته وفي الاختبارات التي قام بها مع تلاميذه. والواقع ان مجموعة المواد التي تتألف منها شريعة الكشاف هي نفسها مجموعة التعاليم الاخلاقية الجديرة بأن تشغل من وقت المربي – لسيرورتها الدائمة ومفعولها المستمر – ما يكفي لنشرها وفرضها على الضمائر والاحساسات الموارة بالخير والجمال.

بيد انه لا بد من الاشارة الى ان ذلك المربي اذا ما غرر بالمنفعة لاعتناق تلك الشريعة يكون قد طوح بروح الشريعة نفسها وافقدها قيمتها الاخلاقية؛ فالشرع هو الشرع كما يقول العرف القانوني. لذلك كان على المربين ان يستعيضوا عن التغرير بأناة يتذرعون بها في افهام روح الشريعة وتبيان الظروف التي تطبق فيها وتفصيل الطرق المختلفة التي تسلك لتحقيق اغراضها. وهذه الاناة مجموعة الى شيء من الالحاح والمثابرة تدخل ضمن الشروط الاساسية في علم الاخلاق. والبحث في علم الاخلاق يقودنا الى الكلام على سقراط ذلك الفيلسوف الخالد الذي تدين له الانسانية بسيرورة هذه المبادئ والتعاليم الاخلاقية، ويفتخر الغرب بأن يكون هو الذي انجبه للعالم قائداً وهادياً ومرشداً.

ولكننا في هذه العجالة سنكتفي من التكلم على سقراط بذكر اوجه النظر التي تلتقي عندها مبادئه ونظرياته بالتعاليم الكشفية وقوانينها. ولعل ابرز تلك الاوجه رغبته في ان يجمع حوله الفتية والشباب يساقطهم الحديث ويبادلهم الرأي، ثم اقتناعه العميق بأن على المرء ان يقوم دائماً بالواجب المحتوم عليه. فكان دوماً يضرب الامثال لتلاميذه واتباعه، كما هو مأثور عنه، ويبذل قصارى جهده ليثير فيهم الفكر الكامن ويبتعث داعي التساؤل والحدس. وليس في اعتقادي افضل من هذه الطرق – التي كان يتبعها سقراط في تعليمه والتبشير بفلسفته – نسلكها مطمئنين ان اردنا للحركة النجاح والانبعاث[1].

يضاف الى ذلك ايضاً ما كان يتوخاه ذلك الفيلسوف في مناقشاته مع الشباب من تهيئة فكرهم للتفاعل والانتاج بدعوتهم تارة للبحث في مدلول عام رحب النطاق – كالفضيلة مثلا – بحثاً يرغمهم على معرفة مختلف الحالات الخاصة المتعلقة بذلك المدلول، او كان يحملهم تارة اخرى على اعتماد الامثلة الملموسة للتأكد من ان الشروط المفروضة في مبدأ ما قد تحققت فعلا. وهذا العمل الفكري المزدوج ضروري في مختلف مراحل التعليم للتثبت من فهم التلاميذ ما يتداولونه من موضوعات فهماً يبعد بهم عن عمل الببغاء العقيم.

فان نحن اهملنا مثلا ان نفتح امام الطفل آفاق الخير العام، ونرفع مداركه الى مجالي الفكر المعنوية الجامعة عرضناه للتشبث بالتعاليم البدائية الخاصة ذات النطاق الضيق والقيمة الصورية.

وان نحن لم نعد به ثانية من جهة اخرى الى دركات الحياة الواقعية وتجاربها اليومية افقدنا حكمنا وتعاليمنا قيمتها الاخلاقية وقدرها المعنوي. ولقد سمعت قديماً من العظات ما يدعونا الى تربية اولادنا في البيئة الصالحة التي لا يلوثها درن الفساد وخبث الموبقات، بيئة يترعرعون فيها على الفضيلة ويشبون على الطهر كما يشب البرعم بين اكمام الزهرة الوادعة. انه لقول جميل ولا ريبة يحمل في معانيه

---

(١) راجع في كتاب « دراسات في تاريخ الفلسفة » : سقراط مؤسس علم الاخلاق . لمؤلفه بوترد – باريس .

فكرة خالصة الجوهر نبيلة الغاية ، ولكنه ابعد من ان ينفذ الى لب الطفل الذي يقصر ادراكه عن استيعاب ما فيه من شمول واطلاق . فان المبادىء العامة — كما يدل منطوقها — هي نقاط تحول يجب ان نكسوها بالافكار التحليلية ونشبعها بالتفاصيل المستمدة من الواقع والمرئيات كي تصبح قريبة التناول سائغة الفهم . ويظهر ان بادن باول قد تفهم جيداً هذه الضرورة المزدوجة فحرص على مراعاتها في تعاليمه وشرائعه . وهذا هو عهد الكشاف والاصابع الثلاثة المرفوعة التي ترمز اليه تؤلف كلها من مواد الشريعة العشر وحدة اخلاقية يعرفها كل كشاف وتذكرنا بها دوماً عقدة الرقبة ، الا وهي : « ساعد غيرك » .

واذا بحثنا من جهة ثانية تفاعل الفكر العكسي وجدنا ان المربي لا يكرس من الوقت ما يكفي لتعويد تلاميذه على ان يجدوا في التفاصيل الواقعية الملموسة معاني الشريعة كلها وما تنهى عنه ، وبخاصة ما تأمر به وتدعو اليه .

ويقول جيريمياس غوتلف في ذلك : « نذهب ايام الآحاد الى حيث نسمع الاحاديث عن الفضيلة والرذيلة ولكننا خلال الاسبوع نمر بالفضيلة والرذيلة معاً فلا نستطيع ان نميز احداهما من الاخرى » . ومثلنا في ذلك مثل التلميذ الذي يعلم جيداً ان كلمة « ارز » تنتهي بزاي ويكتب الموضوعات الوافية عن طريقة زرع الارز ولكنه اذا ما قدم اليه خليط منه ومن الزؤان تعذر عليه تمييز احدهما من الآخر .

ويوصي بادن باول بتمرين الكشافين على الملاحقة الاخلاقية وكثيراً ما كان يرسل بهم الى المدينة بمهمة البحث عن رجل مغلق او يائس خجول ليثير في خواطرهم ملاحظة الفوارق النفسية بين طبقات الناس، وفي القصص الجميلة الماتعة التي كان يرويها لكشافيه نراه يحرص دائماً على ان يأتي في سير الذين يتحدث عنهم على ذكر الصفات والمزايا التي يود غرسها في نفوس كشافيه ، وعلى اظهار النواحي التي يقصرون فيها عن ادراك مثل الكشاف الاعلى او يحققون فيها شريعته ومبادئه .

والغريب اننا نأتي جميعاً من الضرر للآخرين ما لا نتمكن من التنبه اليه والحذر منه . ولذلك ارى ان « عصبة التجار الاجتماعية » اذ ترشد الزبائن الى الوسائل التي تساعدهم على توفير اللقمة للعاملين المعدمين تقوم من حيث لا تدري بعمل تربوي عظيم على القادة ورجال التربية ان يقتدوا به ويحسنوا الافادة منه . وهذا العمل التربوي هو ايقاظ الملاحظة الاخلاقية وجعلها دائمة الوعي والحركة .

وتاريخ هذه العصبة ملي ء بذكر رجالها ودعاتها الكثيرين الذين امتاز منهم جون وولمن صاحب اليد الطولى في اثارة الجهود العملية التي بذلت للقضاء على الرق والاستعباد . وليس ادل على فضل هذا الداعية في مقاومة العبودية من ظهور وعي مشكور في القرن الثامن عشر غايته اكتشاف تطبيق جديد لمبادىء الاحسان والرأفة التي كان يدعو اليها في جهاده الطويل . ولم تكن هذه العصبة الاجتماعية هي الوحيدة التي يجدر برجال التربية الكشافين الاطلاع عليها والاقتداء بها ، اذ هنالك ايضاً غيرها من الرابطات التي اتخذت من الخير العام والقضايا الصحية الاجتماعية اهدافاً لها وغايات ترمي اليها .

نخلص من كل هذا الى ان ما تدعو اليه تلك الجمعيات والرابطات كما يفسح المجال ، من جهة ، امام الكشافين للوقوف على مدى انتشار مثلهم المدنية وكثرة الفوائد التي تجنى من تلك المثل ويمكنهم من جهة ثانية من تقدير قيمة التعلم والملاحظة والتفكير في مجالي عمل الخير والخدمة العامة وما أجمل هذا العمل وتلك الخدمة يتجليان في حياة الكشاف اليومية اياً كان وحيثما وجد . فتراه في القرية يستأصل النباتات التي تعيث الفساد في الحقول ، وفي المدينة يرفع عن الطوارات قشور الموز والليمون التي تعرض المارة لزلة القدم او الانزلاق الفجائي ، ويحارب معاطاة الكحول ويناوىء سريان الامراض التناسلية محافظة على النظافة المادية والخلقية في مدينته .

هذا قليل من كثير من امثلة تضرب على اعمال الخير والمنفعة ليست هي في الحقيقة سوى نتائج طبيعية للمبدأ الاخلاقي السامي « ساعد غيرك » نبراس كل كشاف والقبلة التي يجب ان نوجه اليها فتيان الامم وشبابها

ترجمة رشيد شقير



عبقرية العرب في العلم والفلسفة

للدكتور عمر فروخ – ١٧٨ صفحة – دار اليقظة العربية بدمشق

لسنا نعرف امة في الامم خدمت الثقافة الانسانية بقدر مـــا خدمتها الامة العربية . ومع ذلك فلسنا نعرف امـــة في الامم حوربت في ثقافتها وتآمر « العلماء » على انكار فضلهـــا الفكري بقدر ما حوربت الثقافة العربية ، وتحمل الفكر العربي مـــن غمز الغامزين ، وطعن الطاعنين .

وقد يرجع ذلك الى جمهرة من الاسباب لا محل لاستقصائهـــا هنا . ولكن الذي نراه رأس تلك الاسباب جميعاً سببان : احدهما يتصل بالماضي فيستوحيه ، وثانيهما يرتبط بالحاضر فيتأثر به . فأما الاول فقوامه ما يضطرم الى اليوم في أعمق اعماق الوراثة الاوروبية من كره للامة التي تلخصت في تاريخها دهراً من الدهر قصة الصراع القديم بين الشرق والغرب ، بما يلزم عن الكره من معاني التنكر والتنقص والتهجم ، في مثل غيظ الحسود ، وظمأ الموتور الى الثأر . واما الثاني فرده الى ما انتهت اليه الامة العربية اليوم مـــن ضعف يقارب العجز جعل اراضيها وبحارها وسماواتها ملعباً لاعدائها بالامس ، فلا هي تستطيع حماية ثقافتها من عبث الدهر وازراء العذال ، ولا هي تستطيع نشرها في الارض والدعوة لها بالاساليب التي تعمل بها دول اليوم – مها هزل تراثها القديم والجديد – على الترويج لمنتجاتها في زحمة السوق الثقافية العالمية .

وواضح بعد ان ايما انصاف لمجهود العرب الثقافي واحلاله محله الجدير به في تاريخ الفكر يجب ان ينهض على اساسين يلتقيان عند معنى واحد ، هو « الرجولة » . فرجولة من جانب الاوروبيين تنزع بهم الى الثورة على شهوات التعصب التاريخي ، كالـــتي تجلت عند « سارطون » الاميركي في كتابه « مقدمة لتاريخ العلم » ، ورجولة من جانب العرب تكلفهم البحث والتحقيق ابتغاء الانتصـــاف لانفسهم بأنفسهم كالتي تمثلت في كتاب الدكتور عمر فروخ الاخير : « عبقرية العرب في العلم والفلسفة » .

كبر الدكتور عمر فروخ كتابه هذا على مقدمة وستة فصول وخاتمة قصد فيها الى الكشف عن العبقرية العربية كما تبدو في الكلم الجوامع ، وعلم الكلام ، والعلوم الرياضية ، والعلوم الطبيعية ، والفلسفة العقلية ، والفلسفة الاجتماعية . فوفق الى ما تصدّر له اكبر التوفيق بما اصطنع من التحقيق العلمي الدقيق ، والمحاكمة التاريخية الصائبة ، والاتساق المنطقي السليم في لغة عذبة مشرقة كان من الحرام ان تُشوّه بهـــذا العديد من الاخطاء المطبعية التي يضج بهـــا الكتاب ، والتي يخفف من تبعة المؤلف فيها ان الكتاب طبع في غير بلد المؤلف ، وهو سبب تخفيفي ضعوف على كل حال .

وليس من همي ان افصّل القول في مفردات النتائج التي انتهى اليها الدكتور فروخ في بحوثه فذلك مطلب وراء الطاقة ، وفوق الامكان . فاجتزىء بالاشارة الى غزارة المادة وخصبها في الفصلين الثالث (العلوم الرياضية) والرابع (العلوم الطبيعية) ، والى ما يحفل به الفصل الخامس (الفلسفة العقلية) بخاصة من آراء شخصية طريفة لا يجد القارىء كبير عسر في اقرار المؤلف عليها ، من مثل رأيه في اخوان الصفاء وان « مرتبتهم في موكب الفلسفة الاسلامية مرتبة الجوق الموسيقي الذي يضج بانغام مختلفة ومؤتلفة : انه لا يحسن الحرب ، ولا يعرف الفن العسكري ، ولكن وجوده ضروري لجمع الناس على جانبي الطريق وبث الحماسة في نفوس الجند » (ص ٩٩ – ١٠٠) فهذا كلام طريف ، على ما فيه من مبـــالغة وبعض المجانبة للحق . اما رأيه في «رحابة» خيال المعري (ص١٠٧) فذلك ما اخالفه فيه كل المخالفة .

وان يفوتني اخيراً ان اوصي القارىء خيراً بالفصل الســـادس (الفلسفة الاجتماعية) ففيه تلخيص واف لآراء ابن خلدون العظيم ، وعليه مقدمة نفيسة في الاسس الاجتماعية في الاسلام ، اطرف ما فيها كلام المؤلف على تعدد الزوجات . . . (ص ١٣٣ – ١٣٤) .

منير البعلبكي

في ربى العراق

للدكتور احمد سوسه – انتاج مديرية الري العامة في الحكومة العراقية

جاء في دراسة للعلامة الثقة المعروف الاب انستاس الكرملي عن (غرق بغداد) ان عاصمة الرشيد غرقت ١٥ مرة خلال مدة ٩٢٩ سنة أي مـــا بين سنة ٩٧٨ و١٩٠٧ . ويظهر ان الوزراء ومعهم

الخليفة نفسه كانوا يقومون بانفسهم باجراء الترتيبات لسد الثغرات وصد غوائل طغيان المياه . وكثيراً مـا كان يعقب غرق المدينة واطرافها تفشي مرض الطاعون وحصول المجاعات والفقر وانتشار الفوضى بما فيها السلب والنهب . وقد قدر عدد الوفيات بالطاعون الذي تفشى في سنة ١٨٣١ بأكثر من مئتي الف نسمة في مدة تنقص عن شهرين .

واما الفيضانات التي حصلت قبل تشييد مدينة بغداد فيذكر المؤرخون ان اعظم فيضان سجل هو الذي حـدث في حوالي سنة ٦٢٩ م حيث فاض نهرا دجلة والفرات بنفس الوقت فخرقـت المياه معظم السدود واغرقت الكثير من اراضي العراق والمدن .

قد يكون من منبوذ الادب الرجوع الى الطوفان لاستهلال موضوع في النقد والتحليل . غير ان الطوفان الذي يصفه الفصل السابع من سفر التكوين في التوراة كانت ارض العراق له مهداً . ولا خلاف اليوم في ان طوفان نوح الذي ورد ذكره في العهد القديم هو نفس الطوفان الذي تشير اليه القصص السومرية .

من هنا يتجلى هول النكبات والمصائب التي انتابت اهـل العراق من جراء فيضان دجلة والفرات الجـامحة في مختلف عصور التاريخ القديم والحديث .

وليس التخريب الناتج عن طغيان نهري دجلة والفرات بأقل من الرخاء الذي جلبه النهران لارض العراق فـان « جنة عدن السومريين » الذي ورد ذكرهـا في سفر التكوين كانت ارض العراق ايضاً لها مهدا .

وقد اعطانا المؤرخ اليوناني هيرودوتس صورة جذابـة لامعة لحالة العراق في سنة ٤٨٠ قبل الميلاد ويظهر ان الواردات الهائـلة التي كان يجمعها ملوك الفرس من ارض العراق وغلاتها الكثيرة ومدنها الغنية العديدة تركت انطباعات جميلة في نفسه .

وشرح لنا اميان مرقلان الذي زار العراق في القرن الخامس المسيحي حالة هذه المملكة فذكر انها كانت عبارة عن غابة خضرة من اقصاها الى اقصاها ، ويقول مؤرخو العرب للقرن السابع والثامن المسيحي انه كان يسمع صوت الديكة في الصباح وهي تتجاوب على طول الطريق ما بين بغداد والبصرة .

وقد ملأت الدنيا شهرة بابل وذاع صيت بغداد وعصرهـا الذهبي في زمن الخليفة العباسي هارون الرشيد .

ولاحظ المهندس الشهير السير وليم ويلكوكس الذي وضع اسس اعادة تنظيم الري بالعراق خلال اقامته في هذه البلاد ان جميع الملوك القدماء الذين قاموا باعمال عظيمة تركوا لهم آثاراً في الجداول والقنوات التي انشأوها وهذه الآثار هي التي خلدت ذكرهم على مر الاجيال .

واليوم فان الارض لم تزل تلك الارض والمياه تلك الميـاه وبالامكان تعمير اراضي العراق مع التوقي من الطغيان الجارف واعادة جنة عدن السومريين الى الوجود وقـد اضطلعت مديرية الري العامة بالعراق باعباء تحقيق هذا البرنامج وهـو ينحصر في مسألتين :

الاولى : درء غوائل الفيضان .

الثانية : استعمال المياه للري .

لقد مرت على الري بالعراق ادوار مختلفة في الازمنة القديمة كانت دائرته خلالها واسعة النطاق جداً اذا ما قيس بوضعه في الازمنة الحديثة .

غير انه في الثلاثين سنة الاخيرة ادخلت فيه تحسينات وتنظيمات كثيرة الامر الذي جعله يخطو خطوات جبارة من حيث الادارة الفنية ومن حيث الضبط ايضاً . ومع كل هذا فلم يكن يوجد مؤلف يضم المعلومات والتفاصيل المتعلقة بالموضوع وذلـك بالرغم من الحاجة الملحة اليه لما للري من تأثير واهمية في الحياة الاقتصادية للعراق .

فابتغاء لسد هذا الفراغ وعلى الاساس المذكور في ما سبق قرر مدير الري العام المستر اتكنسون وضع كتاب « في ري العراق » يتألف من قسمين : الاول يتعلق بالفرات وبالاحصاءات والمعلومات الخاصة بالمشاريع المتصلة به والثاني يتعلق بنهر دجلة .

وقد عهد بانجاز الكتاب للدكتور احمد سوسه مهندس قسم الابحاث الفنية بمديرية الري وظهر القسم الاول مشتملاً على احصاءات عامة عن احوال العراق من حيث تعداد السكان والمساحـات والمحاصيل الزراعية وحالة الجو باعتبار اتصالها بالزراعة والري . وفي البحث عن نهر الفرات نجد احصاءات عن المسافات ومنطقة التغذية والمقاييس والتصاريف والسدود والطمي في المياه والمباحات التي على النهر .

ومن ثم يبحث الكتاب عـن المنشآت الرئيسية وكيفية استغلال المياه لاغراض الري . ويتخلل النص جداول ورسـوم عديدة ومنحنيات بيانية قيمة وهناك مجموعة من اللوحات الملحقة بالكتاب تحتوي على خرائط توضح المعلومات الواردة فيه .

ونحن نورد بعضاً من الارقام التي جاءت في الكتاب لتستقر

الافكار على اهمية المواضيع المطروقة من حيث استثمار مياه نهر جوح والتحكم فيه لينقاد الى ما فيه خير العراق .

نهر الفرات يجري مسافة ٢٣٠٠ كيلومتراً ابتداء من « خربوط » الى ان ينتهي الى مصبه في « كرمة علي » الواقعة على شط العرب . ويبلغ طول النهر في المملكة العراقية ١٢٠٠ كيلومتر .

وتتجمع المياه من جبال وقفار تبلغ مساحتها ١١٠٠٠٠ كيلومتر مربع . اي ما يقرب من ربع مساحة اراضي العراق الداخلة ضمن حدوده السياسية والبالغة ٤٥٣٥٠٠ كيلومتر مربع .

ويبلغ التصريف السنوي كما ذرع في محطة « هيت » ٢٣ مليارا من الامتار المكعبة . وهذه المحطة تعتبر هامة لوقوعها على مدخل النهر الى دلتاه حيث يستوعب الفرات في هذه النقطة اعظم كمية من تصريفه بالنسبة الى العراق .

وقد بنيت سدود على ضفتي النهر يبلغ مجموع طولها ١٥٠٠ كيلومتر وهي ترمي الى السيطرة على مجرى النهر لفرض الحيلولة دون اخطار الفيضان .

وتقدر مساحة الاراضي الواقعة على نهر الفرات والقابلة للزراعة بـ ٣٢٥٠٠٠٠ هكتار . وهناك مشروعان رئيسيان لدرء غوائل الفيضان ولخزن المياه لاستخدامها في ايام الصيهود

١ - مشروع بحيرة الحبانية

تستوعب البحيرة ما يقرب من ٢٥٠٣ ملايين من الامتار المكعبة اي ما يقرب من عشر التصريف السنوي للفرات . وهي تستخدم منذ سنة ١٩٤٢ .

٢ - مشروع سدة الهندية

لقد بلغت تكاليف هذا المشروع الذي نفذ في زمن الدولة العثمانية ٢٥٠٠٠٠ ليرة تركية ذهب ويتفرع من قناطر الهندية جداول تقدر المساحات التابعة لها بـ ٥٥٦٠٠٠ هكتار .

ومن احصاءات المؤلف عن المساحات المزروعة في العراق حالياً نستخلص ان ٢٠ ٪ فقط من مساحة الاراضي القابلة للزراعة تستثمر الآن وهي تبلغ ٢٣٧٥٠٠٠ هكتار .

ونجد في العراق ١٨٠ نوعاً من التمور ويقدر عدد النخيل الموجودة بنحو من ٣٠ مليون نخلة منها زهاء ١٣ مليون نخلة في منطقة شط العرب ، وتنتج هذه النخيل نحواً من ١٠٠٠٠٠٠ طن من التمور .

وبعد ما ذكرناه لا يسعنا الا الثناء على المؤلف الدكتور احمد سوسه واظهار اعجابنا بنشاطه المثابر الذي جعله يجد متسعاً من الوقت والصبر والاستمرار بدون ما ضجر او يأس او قنوط ليتسنى له جمع ما جمعه في كتابه القيم الذي نزفه الى قراء العربية ليكون مصدراً حافلاً اساسياً يرجع اليه في المشاريع التي ستقام في العراق فهو يحتوي على احسن ما هو متوفر في الوقت الحاضر .

واذا ذكرنا للقراء الكرام ان كتاب الدكتور سوسه صدر باللغتين العربية والانكليزية يتجلى مقدار المجهود الساحق الذي تكبده المؤلف والذي يقدره ويفهم اهميته كل من اشتغل بعلم الاحصاء .

ان نهر الفرات متثاقل بوفرة تاريخه وهو اما مصدر رخاء ، واما سبب كوارث ونكبات ، ولذلك تدعو الحال الى مراقبته باستمرار للتسلط على جريانه ولمكافحة طغيانه وجعله دائماً باعثاً للخير ، كما قال بلسان الشاعر نبي سومري قديم :

اهذا النهر الذي وسع الخير واولى طرائف الاشياء	ض وزانت مغناها بالرخاء
جمات ضفتيك آلهة الار	

ابراهيم عبد العال — المهندس

رئيس دائرة الابحاث المائية في الجمهورية اللبنانية

وحي المرأة

للاستاذ عبد الرحمن صدقي — ٦٣ صفحة — دار المعارف بمصر

هو ديوان يختلف عن الدواوين ، في وحدة غرضه ، وفي مدة عمره ، واذا اتفق معها في انه بعض وحي المرأة ، فالمرأة التي استوحاها هي امرأة الشاعر التي كانت في حياتها ظلّاً له وبرداً وراحة ! وفي ليلة من ليالي الشؤم اختطف الموت هذه الصفية من بين يديه . فاذا القصر خلاء ، واذا الحياة فراغ . واذا ما بين يديه لا يساوي شيئاً !

وقديماً ابتلي شعراء كثيرون بفقد ازواجهم ، فرثوا وبكوا واشجوا . ومن لا يذكر مقطوعة « جرير » التي مطلعها :

لولا الحياء لهاجني استعبار ولزرت قبرك ، والحبيب يزار

او مقطوعة لابن الزيات ، او الطغرائي ، والبارودي حين اتاه نعي زوجه في منفاه من جزيرة سيلان ، ومطلعها :

لا لوعتي تدع الفؤاد ، ولا يدي تقوى على رد الحبيب الغادي

كل هذه المقطعات على ما بها من حزن وشجا لا تكاد تصل في شدة التأثير والعنف الى ما وصل به صاحب « وحي المرأة » . لان الفجيعة لم تكن عنده خبطة عاطفة ثم تهدأ . وانما هي عواطف متداعية كلما حاولت واحدة ان تهمد اثارتها ثانية واعانتها على

الاشتعال . والديوان برغم انه نظم في شهر وبعض شهر غني بهذه الالوان من الذكريات التي تتناول مراحل مختلفة من حياة الزوجين قبل الفراق وبعده وامنف هذه الذكريات وامتدادها لم يستقر الحزن في قصيدة واحدة ، ولم يبرد الجوى في ليلة واحدة . ولذلك ترددت المشاهد ، وتكررت الالوان ، وتكلمت الذكريات بلغات مختلفات .

عرف الادب العربي « عبد الرحمن صدقي » اديباً كبيراً من الطراز الاول . ولم يعرفه شاعراً . وهو نفسه قدّر هذا التساؤل واجاب عنه ، بل اجاب « كيف يقصد هذه القصائد بهذه الكثرة »؟ ولكن من درى ان الشاعر كان يستعين بآلهة الشعر – في سهده ووجده – على ان تخفف عنه بعض الذي يتولاه مما اشجاه .

تعجب اصحابي وطال سؤالهم يقولون لي « في كل يوم تقصد »؟
وما كان اغنائم عن القول لو دروا بأني طوال الليل يقظان مسهد

وهو في ديوانه لا يقف عند مشهد واحد بل يكاد يلم بدرج مراحل حياته ، ووصفها في كثير من الابيات وصفاً نفسياً موفقاً . وان لنا – في قدسية الفاجعة – ما يجعلنا نتخلف عن تحليلها تحليلا يفقدها الروح . فأنت – مرة – ازاء زوجه في مرضها الاخير ، وقد ألمت بها حمى خبيثة دماغية اعيا لها طب المشرق والمغرب . حتى اذا انتصرت على جسدها لم تستطع ان تنتصر على جمال روحها .

وتحرص ان تبدو كعهدي جميلة يطالعني منها على السقم رونق
تعرقها يا داء مـا شئت جاهدا ولكن حسن الروح في الوجه مشرق

ومرة تحمله الذكرى الى مناجاتها .

شريكة درسي تلك اسفار مكتبي خرسن ، وكانت في جوارك تنطق
فما لي الى الاسفـار بعدك نهضة ولا متعة فيما يشوق ويونـق

على ان الشاعر يوزع اوصافها الى وصفين ، وهو يريد ان يقصيها عن « مرح المرأة » ، فيجعل منها امرأة لا تشبه النسـاء الحوامل ، بعقلها الحافل ، وحبها للدرس ، واغراقها في التأمل ، ولا عجب في ذلك ، فقد كانت شريكة درسه ، ورفيقة تفكيره ، ومشجعته على الانتاج . وبذلك يقول :

رأيت الغواني وهي لهو ومظهر وانت مزاج من جميل وكامل
ورقة احسـاس ، وعفة لفظة ولحظ وتفكير ، وحفل فضائل

وقد تظهر هذه المقارنة واضحة في مقطوعة « دنيا ودنيا » .
ولكنه قد يميل – حيناً – الى مناجاتها في زينتها بقوله :

هنا الطيب والابراد والحلي كله فأين التي كانت بهـا تتحبب ؟

والشاعر موفق جد التوفيق في قصائده كلها ، ولعل آثرهـا عندي – وكلها اثير – قطعته في الطريق . لان الذكريات الـتي تتركها الطريق وتثيرها في النفس تحمل اعنف الوجد ، وأمر الحزن .

على ان هذا الرضا لا يعدم ان يلقاك في القصيدة بيت ينبو عنه سمعك وبيت يشذ لحنه عن لحن القصيدة . فتود ان يزول ، او يتغير فيه شيء . ومن ذلك قوله :

اذا عرواء الداء فارت برأسها
فليست –من الرجحان– تهذي وتحمق

فاني كرهت جداً (من الرجحان) والسبب فيه . ولماذا نريد ان نبرئها من الهذيان اذا ارادت الحمى ؟

وقوله في القطعة نفسها :

فقدتك يا الفي ! وكنا كأنما عرفتك مذ خلقي ومن قبل نخلق

فهذا المعنى – برغم انه تردد كثيراً وفقد الصورة المبتدعة ، لم يستطع الشاعر ان يتخير له صورة واضحة والفاظاً سيالة .

وقوله ، وفيه ما فيه من الاسهاب .

واني لذو صبر ، ولولاه لم اكن على الارض حيا ، بعد موتك ، ارزق

فانه عبر عن شيء عظيم لا يحس قيمته . وهو استمساكه بالصبر ، على حين ان المصابين المضطربين يتعللون بفقدان الصبر لا بوجوده .

على هذا كله اعتقد ان ديوان « وحي المرآة » مـن الشعر الحلال الصافي الاسلوب ، القوي التأثير لانه عصارة القلب المفجوع . والفجيعة في الادب كالمطر الهاطل على التربة الجديدة . يضربهـا ويحلقها ويبدع منها ، على اننا لم نزد نحن للشاعر هذه الفاجعة – وان كان بها خلوده – ولكن ارادها من لا راد لقدره . ولا رجـاء لنا – من هذه المجموعة – الا ان تحمل الى قلب الشـاعر تعزية الشعر .

حلب خليل هنداوي

اقتصادياتنا بين الامس واليوم

للاستاذ ليون مراد – ٥٦ صفحة – مطبعة الثبات

يعالج هذا الكتاب بدقة وامعان الناحية الاقتصادية في بـلاد الشام زراعياً وصناعياً في العهد الواقع بين الحربين الاخيرتـين ، ثم يستعرض الاوضاع خلال هذه الحرب ، ويتناول القسم الثـالث « ما يجب عمله بعد الحرب » وفي الكتاب جداول باحصاءات دقيقة عن اسعار الحاصلات ، وعن المبادلات التجارية وغيرها .

وهذا الكتاب من الكتب العملية التي نحن في حاجة شديدة اليها بعد ان فاضت المطابع بالمؤلفات الادبية والنظرية .

وقد وفق المؤلف توفيقاً ظاهراً يدل على خبرة في هذا الموضوع ،

ولاسيما في الناحية الزراعية، وخاصة عندما بين الغبن الذي اصاب الفلاح من دائرة الاعاشة بتحديد اسعار المنتوجات الزراعية تحديداً لا يتلاءم مع جهود الفلاح وتكاليف الفلاحة خلال الحرب ولا يتناسق مع فئات السلع على وجه عام، ومن الموضوعات التي وفق فيها المؤلف كلامه في معالجة زيادة الانتاج، واذكر هنا، انني قرأت منذ اسابيع نص محاضرة قيمة للسيدة نازك العابد بيهم في مجلة العالم العربي عالجت فيها هذا الموضوع نفسه وبرهنت على ان الواجب يقضي على الزراع في الشرق العربي التكتل والاتحاد، اسوة بما يجري في الغرب، والاعتماد على الشركات في سبيل دفع مزاحمة الشركات في اوربا وامريكا، ذلك لان الاعمال الفردية اصبحت مخفقة خاسرة سواء في الزراعة والصناعة.

فيا حبذا لو نوه المؤلف بهذه النقطة الهامة في عداد وجوه الاصلاح الزراعي.

ويأخذ ارباب الصناعات الوطنية، ولا ريب، على المؤلف انه لم ينصفهم كما انصف المزارعين، فقد قال ان الصناعات الوطنية لا يصح ان تعد اليوم صناعات كاملة، فصانعو الشكولاته يستحضرون الالواح الكبيرة ثم يصبونها في قوالب صغيرة، ومثلها صناعة «الشفرات» والمسامير وغيرها من الصناعات التي عددها. وكان لا بد بعد ذلك من ان يتساءل المؤلف: هل يكون لمثل هؤلاء الصناع الحق في ان يتمتعوا بالحماية الصناعية من قبل الدولة؟

ان دقة المؤلف وخبرته ظاهرتان في كل صفحة من صفحات الكتاب، غير ان دقته وخبرته لا تمنعانا من ان نطالب اليه ان يذكر الى جانب تعداده الاعمال التي تمت في عهد الانتداب قبل الحرب الاخيرة في الحقل الزراعي والحقل التجاري، وتربية المواشي، والتي ختمها بشكره للدولة المنتدبة، اقول اننا نطالب ان يذكر ايضاً اسباب النتائج الوخيمة التي حاقت ببلاد الشام اقتصادياً.

نطالب من المؤلف ان يذكر ذلك، لان الشام اصيب قبل الحرب الحاضرة في زراعتها فساءت احوال الزارع والفلاح، واصيبت في تجارتها حتى استولى اليأس على كثير من كبار التجار وانصرفوا عن مزاولة التجارة، وكذلك يقال عن الصناع واصحاب المعامل، واكثر من ذلك يقال عن ضياع النقد الذهبي وفقدانه. فهل كان كل ذلك الا نتيجة لسوء السياسة الاقتصادية؟!

(...)

ايليا ابو ماضي

للاستاذ نجدة فتحي صفوة – ٩٦ صفحة – بغداد

حرز الشاعر ايليا ابو ماضي مكانة مرموقة في الشعر العربي الحديث، ولصدور ديوان من دواوينه صدى بعيد تردده الاوساط الادبية، ويترك هذا الصدى بعده آثاراً من الكلام والبحث والمناقشات، فلم تكد تحمل الانباء بشرى ميلاد ديوانه الجديد «الخمائل» حتى رأى الاستاذ رفائيل بطي ان يطرف قراء صحيفته «البلاد» بلمعة من ادب ابي ماضي وشخصيته الشعرية، فطلب من الاستاذ نجدة فتحي صفوة كتابة مقال عن ابي ماضي، ولكن الاستاذ صفوة امتدت به الكتابة حتى دبج دراسة عن حياة ابي ماضي وشعره، كان منها هذا الكتيب الذي قدمه للقراء الاستاذ بطي بمقدمة بارعة عن اهمالنا البحث في ادبائنا المعاصرين.

وموضوعات الكتاب هي: العرب في الموطن الجديد، ادب المهجر، الرابطة العلمية، تذكار الماضي، الجزء الثاني، الجداول، تلميذ ابيقور الحكاية الازلية.

وبالرغم من تواضع المؤلف الذي اعلنه في تصديره للكتاب عندما قال، ارجو ان لا يحمل المتأدبون هذه الدراسة اكثر مما تحتمل فيطبعوا بدراسة قد وفت شعر ابي ماضي ما يستحق من بحث ونقد وتحليل والمت بكل ما له، وهو كثير، وكل ما عليه وهو غير قليل». اقول بالرغم من تواضعه هذا، فان هذا الكتاب دراسة موفقة في نواحي كثيرة من ادب ابي ماضي، وفيه نظرات صائبة في اتجاهات الشاعر وفلسفته.

وهذا كله لا يمنعنا من ان نلاحظ ان مؤلف هذه الرسالة كان يتحدث عن حسنات ابي ماضي ويسكت عن السيئات... اي ان تحليله كان يهدف الى تبيين مواطن الجمال في شعر ابي ماضي وحسب، وهذا، ولا ريب، اجحاف في الدراسة..

وان نلاحظ ملاحظة ثانية نراها تحط من قيمة الدراسة، فالمؤلف (في ص ٥٧) يعتذر عن تبيين العامل الرئيسي لسفر الشاعر الى امريكا، لان المصادر قليلة ولا تبين هذا العامل.

ولا شك ان عذراً كهذا يقبل عند دراسة شاعر جاهلي او قديم بوجه عام، اما ان يقال في شاعر معاصر لا يزال على قيد الحياة.. فعذر غير مقبول... ولا شك ان ايسر وسائل الحصول على مثل هذه المصادر هو الاتصال بالشاعر.. وسؤاله عن التفاصيل المطلوبة عن حياته...!

قصة القنبلة الذرية

— تتمة المنشور في الصفحة ٩ —

•

انشاء مصانع الانتاج على مدى واسع في اميركا » .

الاورانيوم

وكانت حكومة كندا تقوم بامداد اميركا بالمواد الخام التي لم يكن لهذا المشروع غنى عنها .

والمواد الخام هنا هي مناجم الاورانيوم التي اشترتها الحكومة الكندية في ٣٨ كانون الثاني سنة ١٩٤٤ وتنازل جلبرت لابين عن جميع حقوقه فيها . وكذلك ارغم بعض المموّلين الانكليز على بيع جميع سنداتهم فيها . وقد دفعت الحكومة ثمناً لهذه المناجم يزيد عن مليون من الجنيهات .

ولا توجد حقول اخرى هامة في العالم للاورانيوم بجانب مناجم كندا سوى في الكنغو البلجيكي .

وهناك ما يثبت ان الحكومة الكندية عندما اشترت مناجم الاورانيوم كانت تعلم بفوائد واخطار المادة المكتشفة وارادت ان تحتفظ لنفسها بها .

وحكاية الاورانيوم من اغرب روايات العلم في العصر الحديث . فقد ذهب جلبرت لابين الى كندا للبحث عن الراديوم . وكان قبل يهتم بالذهب والفضة اما الاورانيوم فكان ينظر اليه على انه مادة ثانوية تصلح فقط لتقوية الصلب وطلاء الاواني الخزفية . وما لبث ان اكتشف ان هذه المادة هي اثمن وانفس ما يوجد على سطح الارض . وفي رطل واحد من بعض انواع الاورانيوم ما يعادل قوة خمسة ملايين من الفحم او ثلاثة ملايين جالون من البترول .

وحتى قبل تعريضه لعملية التحطيم الذري كان الاورانيوم ذا طاقة حرارية مرعبة . واذا اضيف الماء الى مسحوقه تصاعدت سحب كثيفة من البخار الشديد الحرارة .

ويقال ان الحلقة الاخيرة في سلسلة التجارب والاختبارات التي انتهت الى اختراع هذه القنبلة قد اهتدى اليها عفواً احد العلماء البريطانيين وانه لم يتقرر نقل جميع التجارب والاعمال الخاصة بهذه القنبلة الى مناطق اميركا الفسيحة الا بعد ان تبين ان النجاح اصبح وشيكاً وان بريطانيا تصاب باضرار بالغة اذا حدث فيها انفجار من النوع الذي تحدثه هذه القنبلة حتى اذا وقع في احدى المناطق النائية من اراضي اسكتلنده ، بل كان حدوث انفجار كهذا في ضواحي لندن يؤدي الى نسف المنطقة كلها نسفاً .

العلماء الذين ساهموا في تصميم القنبلة الذرية

وهؤلاء هم العلماء الذين ساهموا في صنع القنبلة الذرية ، وقد ذكر بعضهم المستر اتلي في خطابه :

١ — الاستاذ جايمس شادويك البريطاني الذي اكتشف ان النيوترونات تستطيع تحطيم الذرة .

٢ — الاستاذ كوكروفت البريطاني وهو اول من حطم الذرات بواسطة الآلات .

٣ — الاستاذ نيلزبور الدنمركي الذي هرب من الدانمرك الى انكلترا في سنة ١٩٤٣ وكانت له اليد الطولى في استخراج المادة الذرية من الاورانيوم .

٤ — العالم اليهودي الالماني رودولف بايلز ، الاستاذ في جامعة برمنغهام منذ سنة ١٩٣٧ .

٥ — العالم اليهودي الالماني فرانز سيمون الاستاذ سابقاً في جامعة برسلاو .

٦ — العالمة اليهودية الالمانية ليتسا مايتنر التي اكتشفت ان انفجار الذرة هو على اقوى ما يكون في الاورانيوم .

٧ — العالم الاميركي طولمان .

٨ — السر جورج تومسون البريطاني المتخصص في دراسة الذرة منذ عشرين سنة .

٩ — السر تشارلز داروين البريطاني .

١٠ — الدكتور رابي الاميركي من جامعة كولومبيا ، المتخصص في دراسة خصائص نواة الذرة المغناطيسية .

وبعد نشر هذه الاسماء اذاع العالم الفرنسي جوليو كوري انه هو والاستاذان هاليان وكوفارسكي اكتشفوا في سنة ١٩٣٩ طريقة استخدام القوة المستخرجة من نواة الذرة ، وان العلماء البريطانيين والاميركيين استندوا في تجاربهم على نتائج اكتشافاتهم .

التجربة الاولى

اجريت في يوم ١٦ تموز ١٩٤٥ اول تجربة للقنبلة الذرية امام جماعة من العلماء الذائعي الصيت وكبار الخبراء والقواد العسكريين وتمت التجربة في بعض المناطق الصحراوية في ولاية « نيو مكسيكو » من الولايات المتحدة الاميركية .

وقد كان هؤلاء العلماء والخبراء يبدون في حالة نفسية هي مزيج من القلق والامل ولا غرو فان فشل التجربة كان ممكناً كما ان نجاحها كان معناه بالنسبة اليوم كشف سلاح جديد هائل لا عهد للعالم بمثله .

في يوم السبت ١٤ يوليو صعد فريق من الخبراء الى قمة برج من الصلب وقضوا ذلك اليوم واليوم التالي في الاستعداد للتجربة وقد اقيم مركز للمراقبة على بعد ١٠ الاف ياردة جنوبي البرج وعلى مسافة ١٧ الف ياردة من البرج وقف اقطاب الفنيين الذين اشتركوا في تصميم القنبلة الذرية في المركز الذي اعد خصيصاً لهم وكان الميجور جنرال ليزلي غروفس المشرف العسكري على المشروع والدكتور فانفاريوس رئيس مكتب الابحاث العلمية والدكتور جيمس كونانت مدير جامعة هارفارد .

وفي اقل من دقيقة قبيل الشروع في تجربة ذلك السلاح الجبار كانت مجموعة كبيرة من الاجهزة الدقيقة تعمل من تلقاء نفسها وكان احد العلماء وهو جندي في الجيش يقف امام « محول» احتياطي على أتم استعداد لوقف الانفجار اذا صدر اليه الامر بذلك لكنه لم يتلق امراً كهذا .

وفي الموعد المحدد انبثق بريق خاطف للابصار اعقبه دوي هائل وضغط بلغ من الشدة بحيث القى برجلين كانا يقفان خارج منطقة المراقبة على الارض . وعلى اثر ذلك تصاعدت سحابة متعددة الالوان الى ارتفاع ٤٠ الف قدم فجرفت في طريقها سحب السماء حتى لم يعد لها وجود .

نجاح التجربة

وعندئذ انتهت التجربة وقرر العلماء والخبراء ان المشروع تكلل بالنجاح، وراحوا على الفور يقدرون قوة هذا السلاح الامريكي الجديد . وقد اشترك معهم في ذلك الدكتور انريكو فيرمي وهو عالم ايطالي معروف .

وافضى الجنرال غروفس بتصريح اثر انتهاء التجربة قال فيه : رأينا اول الامر ضوءاً منقطع النظير في لمعانه ، فما كان منا الا ان نظرنا من خلال مناظيرنا الداكنة اللون الى كرة من النار ، وبعد انقضاء اربعين ثانية فقط ، انطلقت موجة عنيفة اعقبها صوت خيل الينا انه لم يكن شديداً ثم تجمعت سحابة ضخمة وجعلت تتصاعد بقوة هائلة فوصلت الى طبقات الجو العليا في حوالي خمس دقائق . ووقع بعد ذلك انفجاران ثانويان اقل قوة من الانفجار الاول .

وهنا زال ما كان يساور العلماء من قلق وعمهم الاغتباط بنجاح التجربة وادركوا ان الانقسام الذاتي للذرة لم يعد شيئاً يراه علماء الطبيعة النظريون في احلامهم ، وايقنوا انهم اهتدوا الى قوة طبيعية جديدة يمكن استخدامها في الخير والشر على السواء ، ولكنهم احسوا انه من واجبهم ان يوجهوا هذا الكشف العلمي المنقطع النظير نحو الخير .

اول قنبلة ذرية على اليابان

وعندما تم النجاح لهذه التجربة اعلن الرئيس الاميركي ترومان ان احدى الطائرات الامريكية القت اعظم قنبلة عرفت حتى الآن في تاريخ الحروب على قاعدة الجيش الياباني في « هيروشيما » وهي قنبلة ذرية تزيد قوتها عن قوة ٢٠ الف طن من اشد انواع الديناميت فتكاً .

واعلن الرئيس ترومان انه يوجد في الولايات المتحدة مصنعان كبيران وكثير من المصانع الصغرى التي تخصصت في انتاج قنابل القوة الذرية هذه .

وقد ظلت طائرات الحلفاء الاستكشافية تطوف فوق منطقة هذا الهدف طول الليل عسى ان تجد ثغرة في ذلك الستار الكثيف من السحب التي انعقدت فوق هيروشيما تمكنها من رؤية آثار هذه القنبلة .

وبعد يومين من هذه الغارة اعترفت الاذاعات اليابانية بأن الاضرار الجسيمة قد اذهلت الخبراء اليابانيين الذين لم يصدقوا لاول وهلة ان قنبلة واحدة من هذا النوع تنطوي على قوة انفجارية تعادل قوة عشرين الف طن من المواد المتفجرة .

واصبحت هيروشيما مدينة من الاطلال وان القتلى فمن الكثرة بحيث لا يمكن حصرهم وقد احرق القتلى والجرحى فلم يعد التمييز مستطاعاً بينهم . وكان اثر القوة المدمرة فظيعاً وواسع المدى فقد قتل من كانوا خارج المنازل حرقاً وقتل من كانوا داخلها بسبب الضغط والحرارة التي لا يمكن ان توصف شدتها . وانبعثت على اثر القاء القنبلة الذرية حرارة متناهية في الشدة كما شبت حرائق عدة بقيت مستعرة اياماً . .

ومن طريف ما يروى انه عندما نقلت اول قنبلة ذرية من واشنطن الى ميدان الحرب في اليابان ، رافقها البريغادير جنرال طوماس فارل ليراقب عملية نقلها عبر المحيط الهادىء ، وكان ينوب في هذه المراقبة عن الماجور جنرال « ليزلي غروفس » مدير مشروع القنبلة الذرية ، لان وزارة الحرب تمنعهما ان يسافرا معاً في طائرة واحدة تجنباً لخسارة الرجلين فيما لو وقع مكروه على الطائرة .

وصف القنبلة

هذا سر من الاسرار العسكرية ، وكل ما نقوله في وصفها انما هو تكهن وتخمين .

وينبغي ان لا يتبادر الى الذهن ان وصف القنبلة بأنها ذرية معناه ان الذرات يمكن رؤيتها واحدة واحدة ، فالمادة المستخدمة تظهر للعين العادية كأية مادة عادية وانما السر هو في طريقة اطلاق الطاقة الكامنة من عقالها ، ففي القنابل العادية نحصل على الطاقة من احتراق المادة المتفجرة كالديناميت ، فهناك اذن احتراق او اتحاد بين الاوكسجين وبين العناصر الاخرى التي يحتوي عليها الديناميت ، اما في القنبلة الذرية فهو تفجر مباشر للذرات وليس اتحاداً كيميائياً بينها .

ويعتقد الخبراء ان القنبلة الذرية تتألف من الاجزاء التالية :

١ — كمية معينة من معدن « ى — ٢٣٥ » المستخرج من الاورانيوم .

٢ — جهاز يسدد تياراً كهربائياً الى مادة « الكلوسينيوم » فيتولد عنها « نيوترونات » تقذف قذفاً متواصلاً بسرعة هائلة فتشطر الذرات وتحرر النواة في داخل كل ذرة .

٣ — حالما تنفجر الذرة يتوالى الانفجار في جميع الذرات التي تتألف منها كمية المعدن حتى يتم استهلاكها في اقل من لحظة فينتهي الانفجار .

٤ — كلما كانت كمية المعدن كبيرة ، والقوة المسلطة على ذراته لتفجيرها قوية ، كان الانفجار اقوى وافظع .

٥ - تستغرق عملية تحطيم الذرة داخل القنبلة بين ٤٠ — ٥٠ ثانية منذ اللحظة التي يبدأ فيها تسليط النيوترونات على الذرات وعلى الاثر يقع الانفجار .

٦ — يبلغ وزن القنبلة الذرية ٣٦٠٠ غرام ، وهي موضوعة في غلاف معدني يشبه غلاف القنبلة العادية من عيار طن واحد .

٧ — يجري القاء القنبلة بواسطة المظلة وعندما تصل الى ارتفاع معين فوق سطح المدينة تبدأ اجهزتها بالعمل ويقع الانفجار .

فهذا الاكتشاف لن يعم العالم في يوم وليلة ، فلا بد له من سنوات طوال حتى تفيد منه الانسانية ، فهو حتى الآن مادة حربية ، وسلاح عسكري . . . وتحويله الى اداة نافعة للسلام والخير البشري يستغرق مدة طويلة .

الاثر الاقتصادي

وصف احد علماء الطبيعة في جامعة اكسفورد القنبلة الذرية فقال : ان الانسان باكتشافه هذا الاختراع قد امتلك عنان القوة التي تجعل الشمس متقدة وسخرها لاغراض مدمرة تدميراً مخيفاً .

ان من هذا الاكتشاف انقلاب في كل شؤون الحياة ، فالعالم قد تحول تحولاً شاملا في اقل من لمح البصر . ان القدرة الكهربائية التي يمكن توليدها ، مثلا ، من خزان اسوان لا تزيد على نصف مليون كيلوات وكل ما تحصل منه في سنة كاملة لا يزيد على الطاقة المختزنة في ذرات ١ على ٥ كيلوغرام من المادة ، فعندما يستطيع العلم استخلاص جزء صغير من هذه الطاقة الذرية تتضاءل امامها اضخم المشروعات الهندسية .

كما ان مشكلة الوقود في العالم من فحم وزيوت معدنية ستزول من الوجود ، فان الرطل الواحد من هذه المادة التي دعيت — ي ٢٣٥ — يعادل في القوة خمسة ملايين رطل من الفحم او اربعة ملايين غالون من البنزين ، اي ان قطعة وزنها خمسة كيلوغرامات من هذه المادة تكفي ان تسير احدى سفن المحيط الضخمة حول محيطات العالم عشرين سنة على الاقل ! وان غراماً واحداً من هذه المادة الجديدة سيكفي لتسيير سيارة الى ان تستهلك هذه السيارة .

وهكذا ستفقد شركات البترول ومناجم الفحم اهميتها ، ولن نسمع بعد الآن عن التنافس العنيف بين الدول للوصول الى منابع البترول في العالم . .

وقد طلبت دائرة المختبر الطبي الدولي من وزارة الحربية الاميركية ان تسمح لها فحص بعض انواع الذرات الخفيفة لانها قد تكون ذات اثر فعال في القضاء على اشد الامراض فتكاً كالسرطان والسل في درجته الاخيرة والالتهابات الداخلية المستعصية . وتقول هذه الدائرة ايضاً ان من حسنات هذه الذرات فتح آفاق جديدة امام الاشعات وعدسات التصوير الباطني .

ويتوقع بعض الخبراء ان ينتج عن هذا الانقلاب العلمي ، محاولة الوصول الى القمر ، واستعمال هذه الذرات في تحويل الصحارى الى اراض زراعية ، والكشف عن الذهب والمعادن في بطن الصحراء ، وقد تصبح للصحارى اهمية اقتصادية لم تكن لها من قبل .

على ان كل هذه النتائج لا بد ان ننتظرها فترة من الزمن ، ولن نواجهها دفعة واحدة . .

الاثر السياسي

واذا كانت هذه قيمته الاقتصادية فماذا ستكون قيمة اعظم جيش في العالم ؟ وما هي جدوى اضخم اسطول واعنف قوة جوية

اذا لم تكن معها قنبلة ذرية ؟

ان المضايق والمحافظة عليها ، والقواعد الاستراتيجية ، والمطالبة بها ، وطرق المواصلات وحمايتها ... كل تلك امور من بضاعة العصر الذي سبق عصر الذرة ... وقد اصبحت الان لا قيمة لها ولا معنى ...

ان القنبلة لم تستعمل جدياً بعد ، فقد اعلنت وزارة الحرب الاميركية انه لم يستخدم من قوة القنبلة الذرية في ضرب اليابان سوى واحد في الالف .

فاذا كان هذا الجزء الضئيل يفوق بمراحل اعظم قوة تدميرية في العالم ، فلا عجب ان يتغير سير الحرب بعد الاعلان عن اكتشافها دون البدء بتجربتها تجربة واسعة النطاق ، فما لبثت روسيا ان اعلنت الحرب على اليابان ، وما لبثت اليابان ان جثت مستسلمة خاضعة ، وقد اعلن امبراطور اليابان في البيان الذي اذاعه على شعبه ان اهم سبب دفع اليابان الى الرضوخ هو اكتشاف القنبلة الذرية .

وهكذا حسمت القنبلة الذرية اول مشكلة عالمية ، وانهت كارثة تخبط فيها العالم ست سنوات ...

وتبقى قضية الاشراف والسيطرة على صنع هذه القنابل الذرية . ولا يحتمل في الوقت الحاضر ان ينتشر السر بين دول لم تساهم مباشرة في اخراجه الى حيز الوجود او في صنعه ، وخاصة ان نفقاته قد بلغت حداً ليس بوسع اية دولة – غير الدولة العظمى – تكبد مثلها .

وسيزيد اتكال الدول الصغرى على الدول الكبرى التي سيكون هذا السلاح في حوزتها . ولا شك ان من يملك السيطرة على هذه القنبلة يملك « المفتاح » الذي يفتح به العالم .. ومشاورات الاقطاب الثلاثة القادمة ستخصص جانباً كبيراً من وقتها للاتفاق على المحافظة على هذا « المفتاح » .. !

ويتكهن احد الدبلوماسيين فيقول ان هذا الاكتشاف سيضع نهاية لما يجري من حديث عن ايجاد اتحاد امريكي بريطاني ، فقد اصبح هذا الاتحاد قائماً بالفعل بعد اشتراك الدولتين في انتاج هذا السلاح ...

لن نستغرق طويلا في التكهن عن مستقبل العالم الذي سيتغير مجراه .. فإننا نرجو ان نقدم لقراء الاديب ، شهراً فشهراً ، آخر الانباء والتفاصيل عن القنبلة الذرية ... ولكننا نختم كلامنا الآن بقول جلالة الملك جورج السادس ملك انكلترة عن هذه القنبلة : « ان العالم يقف اليوم بين امرين : فإما القضاء على الحرب قضاء تاماً ، واما دمار العالم .. » .

الثقافة اللبنانية

– تتمة المنشور في الصفحة ٤ –

•

هذه هي الرسالة التي تبرر وجود كيانهم السياسي . وهذه هي الميزة التي طالما باهوا وفاخروا بها . وهذه هي الراية التي حملها ابناؤهم الى كل صقع ونشروها خافقة في القارات الخمس .

*

هذه هي الثقافة اللبنانية كما افهمها وهذا هو الدور الهام الذي يجب ان يمثله لبنان في عصر النهضة والبعث .

انه دور لا يحصر مداه ضمن هذه الحدود الضيقة بل يتخطى الحواجز الاقليمية ويحلق فوق الحدود السياسية ليتغلغل في جميع انحاء بلاد العرب ويطرق اذن كل من نطق بالضاد .

فكل عقبة نضعها في طريق اللبناني ، وكل حاجز نقيمه في سبيله ، وكل منهاج نضعه ليحد من اندفاعه ، يكون ضرره مزدوجاً . فضرر لبناني وضرر عربي .

ان النظريات لا قيمة لها اذا كانت لا تتحول الى مناهج قابلة التحقيق والتطبيق . لذلك اود ان ارسم للقارىء « المدرسة اللبنانية » كما اتصورها واحلم بها .

وموعدنا معه في العدد الآتي من « الاديب » ان شاء الله .

رئيف ابي اللمع

اعلان

مجمل الأحداث السياسية والحربية في شهر

٣٠ تموز ١٩٤٥ – رفض المجلس الوطني الفرنسي اقتراحات الحكومة بشأن الدستور بأكثرية ٢١٠ اصوات ضد ١٩ صوتاً . وكان الجنرال ديغول قد اوضح انه قد يستقيل اذا صوت المجلس ضد مشروعه . وبعد التصويت اقر المجلس « المبدأ القائل بأن الحكومة مسؤولة امام المجلس التأسيسي بـ ٢٦٨ صوتاً ضد لا شيء » ، وكذلك قرر مبدأ استقرار الوزارة ومبدأ سيادة المجلس التأسيسي .

٣١ – دافع الجنرال فيغان عن المارشال بيتان في جلسة محاكمته اليوم .

١ آب – غادر « لافال » رئيس وزارة فيشي الفرنسية ، اسبانيا الى فرنسا حيث اعتقل .

٢ – انتهى مؤتمر الاقطاب الثلاثة الذي عقد في بوتسدام قرب برلين . وقد خطب في الجلسة النهائية كل من المستر ترومن والرفيق ستالين والمستر اتلي .

قرر مؤتمر بوتسدام انشاء مجلس من وزراء الخارجية يعد شروط الصلح مع البلدان المهزومة ويضع خطة لتسوية المشكلة الالمانية . ويتألف هذا المجلس من وزراء خارجية بريطانيا وروسيا والصين وفرنسا والولايات المتحدة مع وكيل منهم .

٣ – اعلن المستر اتلي التعيينات في وزارة العمال فكانت كما يلي : ايدي للداخلية ، اديسون للدومنيون وزعيم مجلس اللوردات ، لورنس للهند ، هول للمستعمرات ، الكسندر للبحرية ، لوزون للحرب ، ستانسفيت للطيران ، وستوود لاسكتلندا ، ايزاكس للعمل ، الآنسة ولكنسون للمعارف ، بيفان للصحة وليامس للزراعة ، ولموت للتموين ، بارنس للنقل الحربي ، شنويل للوقود ، باكر للدولة ، بيفن للخارجية ، كريبس للتجارة ، غرينورد حاملاً لاختام الملك .

٤ – تكلم « لافال » مدافعاً عن المارشال بيتان في الجلسة التي عقدتها المحكمة اليوم .

٦ – اعلن الرئيس ترومان ان الطائرات الاميركية قد ألقت على قاعدة هيروشيما اليابانية اعظم قنبلة في التاريخ . وهي قنبلة ذرية اقوى من ٢٠ الف طن من متفجرات الـ « ت . ن . ت » .

٨ – استقبل المسيو مولوتوف وزير الخارجية ساتو السفير الياباني في موسكو وصرح امامه ان الحلفاء دعوا الحكومة السوفياتية للانضمام الى الحرب ضد العدوان الياباني تقصيراً لاجل الحرب ، وقد قبلت الحكومة السوفياتية الدعوة ، وتعد نفسها في حالة حرب مع اليابان ابتداء من يوم ٩ آب .

٩ – عبرت الجيوش الروسية حدود منشوريا وتقدمت في اماكن كثيرة .

١٠ – اعلنت وكالة الانباء اليابانية ما يلي :

ان الحكومة اليابانية مستعدة لقبول الشروط الواردة في التصريح المشترك الذي اصدره رؤساء حكومات الولايات المتحدة وبريطانيا والصين في بوتسدام يوم ٢٦ تموز والذي انضمت اليه الحكومة الروسية مؤخراً على اعتبار ان هذا التصريح لا يشمل اي طلب يمس صلاحيات جلالته بوصفه حاكماً سيداً .

وقد ارسل هذا الطلب الى الحكومتين السويسرية والسويدية لعرضه على الولايات المتحدة وبريطانيا والاتحاد السوفياتي والصين .

اجتاحت القوات الروسية كوريا على طول جبهة واسعة ، وكذلك اجتاحت كارافوتو التي تعد القسم الجنوبي من اقصى جزر اليابان الشمالية .

١١ – بعث المستر بيرنز وزير خارجية الولايات المتحدة برد الدول الحليفة على عرض اليابان للاستسلام .

طلب النائب العام الفرنسي الحكم بالاعدام على المارشال بتان .

١٣ – وصل الى لندن الامير فيصل وزير خارجية المملكة السعودية واخوته الثلاثة في طريقهم من سان فرنسيسكو الى بلادهم .

١٤ – وصل الى الحلفاء الرد الياباني بالاستسلام وهذا نصه : «بالاشارة الى المذكرة الصادرة يوم ١٠ آب بخصوص قبول اليابان لنصوص تصريح بوتسدام وجواب الولايات المتحدة وروسيا وبريطانيا والصين الذي ارسله المستر بيرنز يوم ١١ الجاري يسر الحكومة اليابانية ان تعلن ما يلي :

١) اصدر جلالة الامبراطور مرسوماً ملكياً بقبول اليابان لنصوص تصريح بوتسدام ، وهو مستعد لتخويل الحكومة اليابانية والقيادة العسكرية توقيع وثيقة الاستسلام ويضمن ذلك .

٢) وكذلك فان جلالته مستعد لاصدار اوامره للقيادات البحرية والجوية والبرية .

١٦ – لاول مرة خاطب الميكادو الامبراطور هيروهيتو الشعب الياباني بالراديو مباشرة فأبلغه قبول اليابان شروط مؤتمر بوتسدام .

١٦ – القى المستر تشرشل اول خطاب له في مجلس العموم كرئيس للمعارضة ، وقال : اني لا ارى في حدود بولونيا الغربية الجديدة التي تضم ربع المانيا الزراعية موضع فأل حسن لمستقبل السلم في اوربا .

١٧ – رغم مضي ٢٤ ساعة على صدور الاوامر بوقف اطلاق النار في اليابان لم يتم استسلام اليابانيين الى القوات البريطانية في ميدان بورما ، ولا زال النشاط مستمراً في الجبهة .

طار الفوج الاول من الاسرة الامبراطورية اليابانية الى مختلف ميادين الشرق الاقصى ليناشدوا بأنفسهم الجنود اليابانيين بأن يكفوا عن القتال باسم الامبراطور .

صرح الرئيس ترومان بأنه يرغب في فتح ابواب فلسطين لاكبر عدد من المهاجرين اليهود .

١٨ – قدم السيد عبد الحميد كرامي رئيس الوزارة اللبنانية استقالة وزارته .

١٩ – وصل مندوبو اليابان الى جزيرة « ايك » لاستلام شروط الاستسلام وللمفاوضة مع القيادة الحليفة .

٢١ – وصل الجنرال ديغول الى واشنطن .

٢٢ – الف دولة السيد سامي الصلح الوزارة اللبنانية من ثمانية وزراء .

توفي في القاهرة الشيخ محمد مصطفى المراغي شيخ الجامع الازهر ، واحمد زيور باشا وهو رئيس سابق للوزارة .

٢٣ – الغى الرئيس ترومان قانون الاعارة والتأجير .

٢٤ – حمل السيد تشرشل زعيم المعارضة في مجلس العموم البريطاني على الغاء ترومان للاعارة والتأجير .